دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	نموذج لكتابات الشيعة في تاريخ المغرب الاسلامي من خلال القرن الرابع الهجري من خلال كتاب المجالس والمسايرات للقاضي ابي حنيفة النعمان الشيعي المتوفي سنة 363هـ
المصدر:	مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط
الناشر:	جامعة الأزهر - كلية اللغة العربية بأسيوط
المؤلف الرئيسي:	ابراهيم، وليد محمد
المجلد/العدد:	ع 30, ج 5
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2011
الصفحات:	3523 - 3583
رقم MD:	336899
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	الفرق الاسلامية ، عرض و تحليل الكتب، ابن حيون، النعمان بن محمد بن منصور، ت. 363 هـ ، تدوين التاريخ ، الإسماعيلية ، الشيعة ، كتاب المجالس والمسايرات، المغرب العربي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/336899

© 2019 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

كلية اللغة العربية بأسيوط

المجلة العلمية

"نموذج لكتابات الشيعة في تاريخ المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري

من خلال كتاب "المجالس والمسايرات" للقاضي

أبي حنيفة النعمان الشيعي المتوفى سنة (363هـ)"

إعداد:

د/ وليد محمد إبراهيم

مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية في كلية اللغة العربية بأسيوط

(العدد الثلاثون – الجزء الخامس ديسمبر 2011م)

التاريخ هو سجل الأمم الذي يحفظ ذكرها، ويعطيها الخلود، بعد فنائها كما جرت سنة الله في خلقه، ومن هنا كان اهتمام الحكام وأهل العلم والمعرفة بتدوين تاريخ دولهم، وكما تطورت الدولة الإسلامية وحضارتها تطور أيضا تبعا لذلك تدوين التاريخ فيها.

يذكر الذهبي[1]: أنه في سنة ثلاث وأربعين ومائة شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث والفقه والتفسير، فمرت من مرحلة التسجيل غير المرتب – قبل هذا التاريخ – إلى التصنيف المبوب، وتوافق تصنيف مختلف العلوم بعضها مع بعض في عصر واحد، وظهر التصنيف في مختلف البقاع الإسلامية معا، وتابع الذهبي في ذلك بن تغري بردي[2].

وإن كان قد سبق هذا التاريخ جهود مضنية في الكتابة والتدوين إلا أنه يعد نقلة مهمة في تاريخ العلوم الإسلامية.

أما التدوين التاريخي فقد مر بمراحل ثلاث: في المرحلة الأولى اتسم بالطابع الشخصي بالنسبة للهدف، وبطابع العفوية والفضول العلمي والمنفعة الدينية أو الاجتماعية بالنسبة للدوافع العامة.

وفي المرحلة الثانية: والتي امتدت خلال القرن الثاني الهجري كله تقريبا عني الإخباريون خلالها بجمع أخبار الأحداث المختلفة والمواضيع المتنوعة كلها، من جميع الأفواه والرواة، كل منها على حده وفي كتاب يحمل عنوانه الخاص.

([1]) الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد (ت 847هـ) تذكرة الحفاظ ج1، ط بيروت 1956، ص151.

([2]) ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت874هـ): النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة ج1، تحقيق د/ إحسان عباس، ط دار الكتب العلمية – بيروت (بدون تاريخ)، ص444-445.

أما المرحلة الثالثة: فكانت مرحلة تدوين التاريخ على الأساس الزمني المتسلسل وجمع المواضيع المتعاقبة على التوالي في كتاب واحد وهي تستند في فلسفتها العميقة إلى فكرتين أساسيتين:

- وحدة التاريخ الإسلامي وأهمية تجارب الأمة الإسلامية.
- وحدة تاريخ البشرية من خلال سلسلة الأنبياء.

وقد امتدت هذه المرحلة حتى نهاية القرن الثالث الهجري حتى استقرت وتوطدت، فتوطد بها علم التاريخ الإسلامي ومناهجه في التدوين[1].

ومنذ مطلع القرن الرابع بدأ علم التاريخ مسيرته العلمية المستقلة لحد كبير مسجلا طورا خاصا جديدا في تلك المسيرة، ومتأثرا – دون شك – بنمو العلوم الأخرى واتساع نطاق الحضارة المادية وانتشار الورق واتفق الغرب الإسلامي (المغرب الأندلس) مع التطور المنهجي الحادث في المشرق إلا أنه اتخذ تطورا ذا طابع محلي في المواضيع والمادة خاصة[2].

فظهر التدوين المحلي للدول الناشئة في المغرب، ونظرا لتنوع هذه الدول ومذاهبها وأفكارها، فقد تنوع التدوين واتخذ شكل الطابع المحلي في مواضيعه.

ومن أهم هذه الدول – إن لم تكن أهمها على الإطلاق في هذا العصر – دولة العبيديين (الفاطميين) أتباع مذهب الشيعة الإسماعيلية[3] الذين أظهروا اهتماما بالتدوين التاريخي وبالأخص

([1]) شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج1، ط دار العلم للملايين، بيروت الطبعة الثالثة 1983م، ص91-100.

([2]) المرجع السابق، ج1/92 – 100.

([3]) الشيعة الإسماعيلية: هم طائفة من الشيعة الإمامية استقلوا بذاتهم وبأفكارهم، يقولون بعدم وفاة إسماعيل بن لإمام جعفر الصادق، وأنه إمامهم وسوف يعود ليملك الأرض، وقد انقسموا إلى عدة طوائف: منهم القرامطة، والبهرة في الهند، إضافة إلى الفاطميين. ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ): تاريخ ابن خلدون، ج4، تقديم د/ عبادة كحيلة، ط الهيئة العامة

جماعة الحياة السياسية من خلفاء وحكام ووزراء وقضاة وكتاب وحجاب ورجال بلاط، وإذا تميز الكتاب خاصة بكتابة المؤلفات التاريخية فلأنهم كانوا يضعون أيديهم عمليا على "مناجم" التاريخ الأساسية في دواوين الدولة من وثائق ورسائل وغيرها فكان التأريخ من أقرب مجالات العلم لعملهم[1].

إلا أن الاهتمام بالمذهب وأفكاره، والانتصار له طغى على كثير من هذه المؤلفات وسعى العبيديون (الفاطميون) إلى الاستنصار بأتباعهم في التدوين وعرض أفكارهم ومذهبهم، وتسجيل أخبارهم وأحداث دولتهم، بل ورؤيتهم للتاريخ وأحداثه، فخيم التشيع على التدوين وأسلوب الكتابة.

فمع نهاية القرن الثالث الهجري وبداية القرن الرابع ظهرت معنا الدولة العبيدية التي اصطلح عليها دعاتها الشيعة اسم الخلافة الفاطمية (نسبة إلى فاطمة الزهراء – رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم) ومع اختلاف المؤرخين في هذا النسب واتفاقنا مع منكريه، إلا أننا سنستخدم ما اصطلحوا عليه، كما جاء في الكتب محل الدراسة.

وقد توالى على حكم هذه الدولة عدد من الخلفاء هم: عبيد الله المهدي ت322هـ/934م، ثم القائم محمد أبو القاسم بن المهدي ت334هـ/945م، ثم المنصور إسماعيل

لقصور الثقافة – القاهرة 2007م، ص30. صلاح الدين: الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ط مكتبة النافذة – القاهرة، الطبعة الأولى 2005م، ص73-81.

([1]) شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج1/446.

أبو الطاهر بن محمد ت341هـ/952م، ثم المعز لدين الله أبو تميم بن إسماعيل ت365هـ/975م [1] وهؤلاء الأربعة هم من عاصرهم القاضي أبو حنيفة النعمان الشيعي نموذج الدراسة.

القاضي أبو حنيفة النعمان الشيعي:

هو: أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي والنسبة تدل على أنه عربي الأصل.

أما مولده فقد ولد بالقيروان ما بين سنتي 283هـ وسنة 290هـ بحسب اجتهاد الباحثين[2].

يذكر ابن خلكان[3]: أنه كان مالكي المذهب ثم تحول إلى مذهب الشيعة الإمامية قبل أن يدخل في مذهب الشيعة الإسماعيلية، وقيل أنه كان إسماعيليا منذ نشأته، والأرجح أن يكون النعمان إسماعيلي المذهب منذ نشأته لأن دخوله في خدمة الدولة الفاطمية كان مبكرا منذ سنة 312هـ/924م، واستمر وفاؤه لخلفائها إلى يوم وفاته[4].

وقد خدم الدولة الفاطمية منذ حداثة سنه في ديوان الرسائل حتى استقضاه الخليفة المنصور في طرابلس، ثم استقدمه بعد الانتهاء من تأسيس العاصمة المنصورية سنة 337هـ، فخلع عليه وأحاطه بكل مظاهر التكريم، وأمره أن يقيم صلاة الجمعة ويخطب في جامع القيروان، إذ لم يكن

([1]) ابن الآبار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (ت658هـ): الحلة السيراء، ج1، تحقيق د/ حسين مؤتس، ط دار المعارف – القاهرة، الطبعة الثانية 1985م، ص285-291.

([2]) الذركلي: خير الدين: الأعلام، ج29، ط دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الثانية عشرة 1997م، ص8، الحبيب الفقي وآخرون: مقدمة تحقيق المجالس والمسايرات، ط دار المنتظر – بيروت، الطبعة الأولى 1996م، ص6.

([3]) ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت681هـ) ت" وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج5، تحقيق د/ إحسان عباس، ط دار الثقافة – بيروت (بدون تاريخ) ص48.

([4]) الحبيب الفقي وآخرون: مقدمة تحقيق المجالس والمسايرات، ص7.

جامع المنصورية قد بني بعد، ويعهد له بقضاء المنصورية والقيروان وسائر مدن إفريقية وأعمالها، ثم ولاه منصب قاضي القضاة[1].

أما صلته بالمعز فقد بدأت منذ ن كان أميرا في خلافة والده المنصور حيث كان النعمان يعرض عليه تقاريره قبل أن ترفع إلى الخليفة فيعطي فيها الرأي، ويبدو أنه كان شديد التعاطف مع النعمان، فدائما ما كان يقف إلى جواره ويقوي من عزيمته ويدافع عنه، ومن جهته كان النعمان مطيعا له دائم المشاورة معه والأخذ برأيه كما ذكر في كتابه[2].

وزاد نشاط القاضي النعمان إلى خارج القضاء في مجال الدعوة إلى المذهب الشيعي الإسماعيلي، فأصبح يسهم في نشر مذهبهم وتبسيط عقيدتهم، وتدوين فقههم، وتسجيل أمجادهم وأحداثهم مما جعل منه دعامة متينة للفقه الشيعي والفكر الإسماعيلي، فكانت له مجالس علم تزاحم عليها الناس حتى لا يصل الصوت إلى آخرهم[3].

وقد ظل النعمان رجل المعز الأول بعد توليه الخلافة الفاطمية، وزاد التصاقه به حتى تحرك معه إلى مصر سنة 362هـ/973م، فمكث عاما قبل أن يوافيه أجله في آخر جمادي الثانية سنة 363هـ/مارس 974م، فحزن لموته المعز وصلى بنفسه عليه ودفن في داره بالقاهرة[4].

ووفاءا له ولى الفاطميون بنوه خطط القضاء والدعوة في بلاطهم، وكان له من الأبناء اثنين: أبو الحسن علي، وأبو القاسم محمد، وقد ظهر بنوه وأحفاده في بلاط الفاطميين في مصر حتى كان

([1]) القاضي النعمان: المجالس والمسايرات، ص51، 53، 348.

([2]) المصدر السابق، ص351.

([3]) الحبيب الفقي وآخرون: مقدمة تحقيق المجالس والمسايرات، ص10.

([4]) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ111/4.

آخرهم أبو محمد القاسم بن عبد العزيز بن محمد بن النعمان الذي تولى قضاء الدولة الفاطمية حتى سنة 439هـ/1047م[1].

مؤلفاته:

أسهمت مؤلفات القاضي النعمان في إعطاء صورة متكاملة عن مذهب الشيعة الإسماعيلية وعن الأمور المتعلقة به من فقه وعقائد وعبادات وكذا في الأخبار والسير الخاصة بأئمته، وقد فاقت غيرها من مؤلفات فقهاء الشيعة المشارقة شهرة حتى عد صاحبها بحق فقيه الشيعة الإسماعيلية الأكبر[2].

ولم تصلنا كتب القاضي النعمان كلها، ولم يبق منها سوى عشرين كتابا مع اختلاف عند الباحثين في عددها وأسمائها وصحة نسبتها إليه، ومن أشهر هذه الكتب: دعائم الإسلام، تأويل الدعائم، كتاب الاقتصار، كتاب الهمة في آداب أتباع الأئمة، ومن الكتب التي حازت على جانب تاريخي منها: افتتاح الدعوة، والأرجوزة المختارة ومن أهمها كتاب المجالس والمسايرات[3] وهو محل البحث.

([1]) المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي (ت845هـ): أتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، جـ2، تحقيق د/ جمال الدين الشيال، ط دار الفكر العربي – القاهرة 1948م ص204، 205. د/ أحمد عبد اللطيف حنفي: المغاربة والأندلسيون في مصر الإسلامية، جـ2، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة 2006م، ص25-26.

([2]) د/ محمد كامل حسين: في أدب مصر الفاطمية، سلسلة الألف كتاب عدد (455)، ط دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة الثانية 1963م، ص67.

([3]) الحبيب الفقي وآخرون: مقدمة تحقيق المجالس والمسايرات، ص13-15، د/ شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج200/2.

كتاب المجالس والمسايرات:

يعد هذا الكتاب من أهم ما كتبه القاضي النعمان، وبالأخص مادته التاريخية حيث اشتمل الكتاب علي معلومات وتدوين مهم للحوادث التاريخية في فترة حكم المعز، وبعضا مما حدث في عهد من سبقوه.

وترجع هذه الأهمية إلى موقع النعمان كشاهد عيان على هذه الحوادث، إضافة إلى تفرد كتاب "المجالس والمسايرات" بتفاصيل لم ترد في غيره من الكتب التي أرخت لهذه الفترة، كما أن طبيعة الكتاب الذي يؤرخ لمجالس المعز لدين الله الفاطمي وما كان يحدث فيها، أضفت على الكتاب قيمة جعلته يحتوي على أدق التفاصيل المشتملة على وثائق لم تتوفر لغيره من المؤرخين.

أما اسم الكتاب، فالنسخة التي اعتمد عليها المحقق مدون عليها "المجالس والمسايرات في تاريخ الإسماعيلية وعقائدهم" إلا أن المحقق يرجح أن يكون اسمه "المجالس والمسايرات والمواقف والتوقيعات" طبقا لما أورده بعض الباحثين، كما أن هذا الاسم كثر مطابقته لمحتوى الكتاب ومادته[1].

وبعد دراسة محتوى الكتاب نتفق مع المحقق في هذا الترجيح، خصوصا إذا أضفنا اتفاق العنوان الأخير مع الغرض الأصلي من تأليف الكتاب، ومع أسلوب القاضي النعمان في التحدث عن تاريخ الفاطميين وهو قاضيهم والداعي إلى مذهبهم.

وقد طبع كتاب "المجالس والمسايرات" من قبل دار المنتصر – بيروت في سنة 1996م، وهي النسخة التي اعتمد عليها البحث، بتحقيق: الحبيب الفقي، إبراهيم شيوح، محمد اليعلاوي،

([1]) الحبيب الفقي وآخرون: مقدمة تحقيق المجالس والمسايرات، ص17.

وهذه النسخة اعتمدت في طباعتها علي نسخة مركبة من نصفين، الأول: صورة لمعهد إحياء المخطوطات العربية مصورة من المكتبة الآصفية بحيدر آباد تحمل رقم (2590) تاريخ، والنصف الثاني مصور في مجلدين بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم (26060) أما النسخة الثانية التي اعتمد عليها التحقيق فهي صورة فوتوغرافية من نسخة مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية S.O.A.S بلندن رقم (25737).

أما ترتيب القاضي النعمان لكتابه المجالس والمسايرات فقد بدأ بمقدمة ذكر فيها الحمد والثناء، ثم فضل أئمة الفاطميين، ثم أعلن منهجه في الكتاب فقال[1]: "وأن أذكر في هذا الكتاب ما سمعته من المعز صلوات الله عليه من حكمة وفائدة وعلم ومعرفة، عن مذاكرة في مجلس أو مقام أو مسايرة، وما تأدى إلى من بلاغ أو توقيع أو مكاتبة، على تأدية المعنى دون اللفظ، حقيقة بلا زيادة أو نقص"، ثم انتقل إلى مادة الكتاب وقد قسمت إلى ثمانية وعشرين جزءا في كتاب واحد، بدأها بقوله[2]: "أول لفظة سمعتها من أمير المؤمنين المعز لدين الله صلوات الله عليه يوم قدمت من طرابلسي وكان المنصور بالله استقضاني عليها.... "وأكمل يؤرخ لمجالس المعز لدين الله التي حضرها فدوى ما يجري فيها، وما كان يحدث من مسايرة أو حديث جرى بينه وبين العز أو حتى توقيع جاءه من قبله في خطاب أو مكاتبة؟.

فذكر كل ما وعاه من حديث، واهتم – قدر جهده – أن يأتي بنص لفظ المعز معتذرا عن السهو، أو عدم قدرته على الوصول إلى بلاغة الأئمة في شيء كبير من الإطراء لولي نعمه وإمامه، واليك تفصيل منهجه في المجالس والمسايرات من خلال المباحث التالية:

([1]) المجالس والمسايرات، ص47.

([2])المجالس والمسايرات، ص45.

المبحث الأول

خصائص الكتابة التاريخية في المجالس والمسايرات

يعنى المؤرخ أثناء تدوينه لمادته العلمية بالطريقة التي سيتبعها في تدوين كتابه، وكيفية عرض المادة التاريخية، هل سيتم ذلك بحسب التسلسل الزمني أم بحسب الموضوعات التي سيتناولها أم هو مذكرات خاصة، كما أن أسلوبه في الكتابة ولغته لهما أهميتهما في ايصال معلوماته إلى قارئ كتابه.

وقد أثرت العصور المختلفة في طريقة العرض والأسلوب لدي كل مؤرخ فكل عصر له طريقته وأسلوبه اللذان يتناسبان مع أهله وتطور الكتابة فيه، ونحن إذ نتناول كتابات الشيعة في المغرب خلال القرن الرابع الهجري وتحديدا منهج القاضي أبي حنيفة النعمان الشيعي من خلال كتابه "المجالس والمسايرات" فنحن بلا شك أمام كتاب تأثر بطريقة وأسلوب هذا العصر، وتفصيل ذلك كما يلي:

أولا: العرض التاريخي وأهمية الكتاب:

بدراسة كتاب المجالس والمسايرات يتضح أنه كتب بحسب الموضوعات: وهو "التزام المؤرخ طريقة التأريخ إما للدول أو لعهود الخلفاء والحكام وإما للسير أو الطبقات، فالكتابة حسب هذا المنهج قوامها الأشخاص، وأعنى بهم أشخاص الخلفاء أو الحكام"[1].

وكتاب المجالس والمسايرات دوَّنه القاضي أبو حنيفة النعمان الشيعي تأريخا لمجالس ومسايرات إمامه وخليفته المعز لدين الله الفاطمي، وتم عرض هذه المادة العلمية مجلسا مجلسا، فكان إذا حضر النعمان مجلسا للمعز رجع مسرعا إلى داره فدونه ما جرى فيه، وإذا حدثت بين النعمان

(1) د/ السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، ط مؤسسة شباب الجامعة – الإسكندرية 2001م، ص91.

وخليفته المعز مسايرة ما، وتطرقوا إلى حديث معين قام النعمان قدوته كما ورد محاولا – قدر جهده – إيراد نصوص المعز كما قالها، وبعد التدوين يقوم بالعرض على المعز فيمضي بعضه، ويرد البعض الآخر ليقوم النعمان بتهذيبه بحسب رؤية الخليفة المعز[1].

ونتيجة لتنوع مجالس المعز واختلاف الموضوعات التي ناقشها مع قاضيه النعمان، تنوعت تبعا لذلك المادة العلمية المدونة بالمجالس والمسايرات، فشملت أحداثا تاريخية متعددة، إضافة إلى علوم أخرى تركز جلها في أمور عقدية ومذهبية تخص مذهب الشيعة الإسماعيلية.

ونظرا لمعاصرة ومعايشة النعمان لهذه الأحداث التاريخية بل ومشاركته في بعضها اكتسب كتابه مع أهمية بالغة، فالنعمان شاهد عيان يدون ما يراه وما يعاصره من أحداث، وقد وصل الأمر إلى تفرده بتدوين أحداث بعينها، أو حتى تفاصيل وردت عند غيره إجمالا، واحتوى كتابه على تفاصيلها بدقة من خلال تدوينه لمجالس الخليفة المعز ومسايراته.

ثانياً: أسلوب المجالس والمسايرات:

الأسلوب هو الأداة التي يعرض بواسطتها المؤرخ موضوعه لذا يلزمه أن يعتني به، ويراعي المستوى العلمي والوسط الاجتماعي الذي يكتب له، بحيث يكون واضحا ومؤديا للأهداف العلمية التي قصدها من بحثه[2].

وكتاب المجالس والمسايرات مع أهميته، فإنه يعتريه الكثير من التكلف في الأسلوب وخصوصا في الحديث عن الخليفة الفاطمي المعز لدين الله وسابقيه من خلفائهم، وهذا ليس في

(1) المجالس والمسايرات، ص17-18، 224.

(2) د/ محمد بن صامل السلمي: منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدوينه ص240.

موضع بل سمة عامة في الكتاب، حتى إن المؤلف لا يذكر أحدهم إلا مقرونا بعبارات الدعاء (رضي الله عنه، عليه السلام، صلى الله عليه وسلم...).

ومرجع ذلك إلى أن مؤلف الكتاب هو قاضي الفاطميين الأول وفقيههم بدون منازع، وصاحب مكانة في المذهب الشيعي، حتى إننا لا تكاد نجد من بين رجال الدولة الفاطميين من خدم الدعوة الإسماعيلية وعبر عن معتقداتها، ودافع وأرخ لأئمتها مثل القاضي النعمان[1].

كما أن المجالس والمسايرات كتب كسيرة مفصلة للخليفة المعز لدين الله فهو تدوين لمجالسه ومسايراته التي شهدها وكان طرفا فيها قاضيه النعمان، فكان المعز هو محور الكتاب الرئيس، وهو ما حمل المؤلف على التكلف في إطراء المعز وسابقيه من الفاطميين.

كذلك فإن نظرة النعمان للخلفاء الفاطميين ومكانتهم عنده التي تعدو كونهم خلفاء، أو حكام إلى مرتبة أعلى بكثير لها دور مهم في حمله على زيادة الإطراء والمديح.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره بعد أن وصله كتاب من المعز يعلمه بعدم اكتراثه بما سمعه عن النعمان من وشايات، وأن منزلته باقية لا تتغير، وإذا بالنعمان يدون ذلك ثم يقول: "فو الله ما دريت. ولا أدري كيف أصف هذه النعمة وإن كانت نظائرها عندي له (صع) كثيرة، ولو كان هذا الفضل والجميل من القول عندي لبعض الإخوان، لأثقلني حمله ولأعجزني شكره، فكيف به من ولي الله وابن نبيه، ومن جعل الله أمر ما يرحب من خير الدين والدنيا بيده؟ ولولا أن يطول الفصل والباب وينقطع عما رتب عليه ترتيب هذا الكتاب، ويصير في الطول إلا مالا يدري كيف نهايته، لفصلت لفظ المعز (صع) فيه، وأعطيت لكل لفظة قسطها من البيان والتنبيه على ما فيها من

(1) الحبيب الفقي وآخرون: مقدمة تحقيق المجالس والمسايرات، ص5-6.

الشرف والفضل والجزالة لمن عسى أن بعض ذلك يغيب عنه، وإن كان نور الشمس لا يخفى عن الأبصار، وضوء الشمس لا يستتر عن النظار. ولو قصدت ذلك لتهيأ من هذا التوقيع كتب كثيرة واجتمعت، مما يتفرع منه أبواب عديدة، وإن كنت أعلم أن ذلك لا ينتهي غوره، ولا تدرك نهايته. ويهدي الله لعلمه ذلك من اختاره وأحب هدايته، وينفعني إن شاء الله إثباته وتخليده وينفع به من قرأه بعدي وانتسخه، إذ كثير ثواب الله وواسع ما عنده"[1].

وفي موضع آخر يطرى المعز فيذكر أن علمه فطري لم يقع إليه بتحصيل وأنه عارف بأصناف العلوم كلها[2].

وغير ذلك كثير، ظهر عموما في أسلوب كتابة المجالس والمسايرات جاوز فيه النعمان حدود الواقع، ومرجع ذلك كله إلى مكانة النعمان في الدولة الفاطمية، ووضع الخلفاء كأئمة عند اتباعهم، إضافة إلى طبيعة المذهب الإسماعيلي الشيعي وما يضفيه على أئمة المذهب الذين يقولون بانتسابهم إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم).

وفي أسلوب كتابته تأثير النعمان بكونه قاض فقيه، حيث كثر ورود الآيات القرآنية والاستشهاد بها في الكثير من صفحات الكتاب، سواء على لسانه أو نقلا عن الخليفة المعز.

ومنه ما ذكره عن المعز لدين الله بأنه لا يؤمن بالتنجيم مثل جده جعفر الصادق فذكر: [3] "قلت: الحمد لله الذي منح أمير المؤمنين هذا الفضل العظيم، وآبانه بهذا البرهان المبين، ووسمه

([1]) المجالس والمسايرات، ص359.

([2]) المصدر السابق، ص147.

([3]) المجالس والمسايرات، ص433.

بالإناة والصبر والحلم وولي الانتقام له من أهل البغي والظلم. وأمير المؤمنين وسلفه، كما قال أصدق القائلين: (**ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**) [1].

ومنه ما ذكره النعمان بشأن خروج بعض البربر على المعز فأرسل إليهم كتيبة من جنده، إلا إن هذه الكتيبة اغترت بنفسها وتركت الحكمة في القتال وفنون الحرب حتى لحقت بها الهزيمة، فيروي عن المعز قوله[2]: "فقال المعز (صلى الله عليه وسلم) عند انصرافهم: نال هؤلاء ما نال أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوم حنين كما حكى الله (عز وجل) بقوله: (**وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ... الآية**)[3]. والله ما وثق قوم بأنفسهم قط إلا وكلهم الله إليها، ولا استهانوا بعدوهم إلا غلب عليهم، ولا توكل قوم على الله قلوا أو كثروا وأخلصوا نياتهم له، وأيقنوا أن لا حول ولا قوة إلا به، إلا أيدهم الله بنصره، وذلك قوله ولا شريك له حكاية عن طالوت وأصحابه في قوله: (**وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا... الآية**)[4]. وقوله وهو أصدق القائلين: (**كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً... الآية**)[5].

كذلك حرص النعمان على الإكثار من تشبيه المعز وأفعاله بالرسول (صلى الله عليه وسلم) وآل البيت رضي الله عنهم والتأكيد على انتساب المعز إليهم.

([1]) سورة آل عمران، آية (34).
([2]) المجالس والمسايرات، ص553-554.
([3]) سورة التوبة، آية (25).
([4]) سورة البقرة، آية (250).
([5])سورة البقرة، آية (249).

ومنه ما ذكره عن حال ابن واسول صاحب سجلماسة[1] بعد أن أسره المعز فقال[2]: "وسأل ابن واسول أن يصلي في الجامع صلاة الجمعة فأذن له أمير المؤمنين (صلى الله عليه وسلم) اقتداء بفعل جده على (صلى الله عليه وسلم) إذ كان فيما يؤثر عنه أنه كان يدع من أراد شهود الجمعة من أهل السجن أن يأتوها ثم يعادون إلى السجن إذا قضيت الصلاة".

ومنه ما ذكره من حديث المعز وهو يطمئن أتباعه إلى استقرار دولتهم وتحقيق مطامحهم حتى لو أدركهم الموت فيقول[3]: "ومن مات منكم قبل ذلك فسيري ما تقر به عينه من رحمة الله ويصير إلى ما كان يؤمله. أما إن جدنا جعفر بن محمد (صلى الله عليه وسلم) قال لشيعته: أما والله إنكم بتوليكم إيانا كلكم من أهل الجنة، وإنا لضامنون ذلك لكم عن الله".

وأما الأسلوب اللغوي فقد استعمل القاضي النعمان في كتابه لغة فصحى وعبارات قوية إلا أنها اتسمت بالكثير من التكلف حيث كثر فيها التعقيد وملئت بالسجع.

ومنه وصفه لوفاة الخليفة المنصور وتولى المعز فقال[4]: "فعلمت أن المنصور قد قبض (صلى الله عليه وسلم) وهجم علي من ذلك ما كدت أن أسقط له إلى الأرض، ثم تداركت نفسي، ورأيت الناس حولي، فاستثبت وقلت كلاما نحو ما قاله المعز صلوات الله عليه لا أفهمه، وأنسانيته ما كنت فيه وانصرفت عنه، والعبرة تخنقني، والدموع تبتدر من عيني، حتى صارت إلى الخلاء من الفحص،

([1]) محمد بن واسول: جده الأعلى أبو القاسم سمعون بن واسول المكناسي من أسس دولة بني مدرار في سجلماسة توفي سنة 168هـ، وهم ينتمون إلى مذهب الخوارج الصفرية وتوالى بعده أبناؤه حتى قضى العبيدون (الفاطميون) على دولتهم، ان عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تحقيق/ ج.س. كولان، ليفي بروفنسال، ط دار الثقافة العربية – بيروت، الطبعة الأولى 1983م، ص156-157.

([2]) المجالس والمسايرات، ص434.

([3]) المصدر السابق، ص410-402.

([4]) المجالس والمسايرات، ص82.

فأرسلت عبرتي، ورفعت عقيرتي وبكيت لذلك مليا، حتى خف ذلك عني وأقمت أياما على ذلك، إذا امتلأ صدري وعيل صبري خرجت إلى ذلك المكان فاستفرغت ما عندي".

وربما كان مرجع ذلك التكلف والمبالغة إلي حرص النعمان أن تتناسب لغة كتابه مع مكانة سيده الذي ينقل عنه حتى ولو أدى ذلك إلى إغفال تبسيط معاني الكتاب ليفهمها العامة، أو لأنها اللغة التي سادت مجالس الخليفة المعز حيث حرص النعمان على تسجيلها بدقة حتى أنه يتحرى ليصل إلى نص اللفظ، ثم يعرض ما يكتب على المعز، يقول النعمان[1]: "فصار ما أثبته في هذا الكتاب كأنه هو لفظه وإن لم يكن هو بحقيقته لما أجازه على المعنى وسقط عنه تهمة التحريف والإحالة، وإن سقطت منه فضيلة الفصاحة والجزالة، ومعجز الألفاظ في المقالة، ولكنه صار بذلك من أصدق الحديث وأصح النقل، وزالت عنه به التهمة ووجب له به الفضل".

أما سمة لغته الرئيسية فهي إكثاره الشديد من استخدام الضمائر في سائر الكتاب، حتى إننا تكاد لا نرى جملة تخلو من استخدام الضمائر بصورة ظاهرة أدخلت على أسلوبه اللغوي الكثير من التعقيد، وصعبت من فهم معاني الألفاظ في كثير من المواضع.

([1]) المصدر السابق، ص302.

المبحث الثاني

الحوادث التاريخية والمادة الوثائقية

الحوادث جمع حادث، والحادث من وجهة نظر المؤرخ هو: كل ما يطرأ من تغير على حياة البشر، أو على الأرض أو حتى في سائر الكون متصلا بحياة البشر، والحادث قد يكون مفاجئا كوقوع زلزال يهدم المدن، وقد يكون عنيفا مثل قيام حرب، وقد يكون بطيئا غير محسوس كعمليات التطور البطيئة التي لا يفطن الإنسان إلى حدوثها إلا على المدى الطويل[1].

وقد حفل كتاب المجالس والمسايرات بالحوادث التاريخية المهمة والذي زاد من اهتمامنا بها أنها ذكرت على لسان معاصر لها، وربما – في بعض الأحيان – مشارك في حدوثها، كما أننا نتناولها هذه المرة من خلال نظرة مغايرة، حيث أن كاتبها شيعي وقد اعتدنا تناول هذه الأحداث من خلال كتب أهل السنة، وللتعرف أكثر على مظاهر هذه الحوادث التاريخية التي تناولها الكتاب والمادة الوثائقية يمن إجمال هذه المظاهر في النقاط التالية:

أولا: تنوع صور الحوادث التاريخية – تاريخ عام – محلي – معاصر ومذكرات:

بالرغم من أن القاضي النعمان جعل كتابه تدوينا وتأريخا لمجالس الخليفة المعز وما يدور فيها من مسايرات، إلا أن الكتاب حفل بتنوع صور الحوادث التاريخية الواردة، فظهرت بأشكال شتى أهمها:

حوادث التاريخ العام: حيث أرخ النعمان للصراع الذي دار بين بني أمية وبني العباس، ثم تحول بني العباس إلى الاستئثار بالخلافة بعد أن كانوا قد دعوا بها لبني فاطمة رضي الله عنها، ويركز

([1]) د/ حسن مؤنس: التاريخ والمؤرخون، ط دار المعارف – القاهرة 1984م، ص41.

على المأمون الذي أمر بإرجاع فدك[1] إلى بني فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأن المأمون صرح بظلم من انتزعها من يدها، وإعلانه أنه سيسلم الخلافة لأبنائها ثم تنكر لذلك في أحداث متوالية[2].

كذلك ظهرت الحوادث التاريخية في صورة التاريخ المحلي في مواطن شتى ومنها الصراع الذي دار بين الفاطميين وأبي يزيد مخلد بن كيداد[3]، وكيف دارت المواجهات بين الطرفين، وما عاصر ذلك من توترات منعت الخلفاء الفاطميين في أحيان كثيرة من الخروج لمواجهته، وبسالة قبيلة كتامة البربرية في مساندة الفاطميين حتى قضوا عليه، ثم خروج ابنه بالثورة فكانت مواجهة الخليفة المنصور الفاطمي معه، وبالرغم من شدة أوجاع المنصور ومرضه إلا أنه تمكن من هزيمته والقضاء على ثورة الخوارج كلية وتثبيت ملك الفاطميين في المغرب[4].

كما ظهرت الحوادث التاريخية في المجالس والمسايرات في صورة تاريخ معاصر. فمثلا يؤرخ القاضي النعمان لما رآه من انتصار المعز على ابن واسول أمير سجلماسة وابن بكر أمير فاس فيقول: [5] "ولما قفل الجيش المنصور من أرض المغرب بعد أن أظفر الله تعالى وليه بابن واسول المدعى

([1]) فدك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاث، أفاءها الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة سبع صلحا بعد أن فتح حصون خيبر، لها قصة حيث أخذها أبو بكر – رضي الله عنه – من فاطمة الزهراء رضي الله عنها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وردها إلى بنيها عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه)، ثم أخذها يزيد بن عبد الملك حتى ردها أبو العباس السفاح فكان فيها اختلاف كثير حتى بين علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) وابن عباس (رضي الله عنهما)، ياقوت الحموي: معجم البلدان ط دار الفكر – بيروت (بدون تاريخ) جـ238/4.

([2]) المجالس والمسايرات. ص403.

([3]) أبو يزيد مخلد بن كيداد هو: قطب الخوارج في المغرب المعروف بصاحب الحمار، خرج في مواجهة الدعوة الشيعية (الفاطمية) وأوقع برجالها حتى دخل القيروان ورقادة وأعمالهما، إلا أن الفاطميين استطاعوا الإيقاع به وقتلوه سنة 334هـ/945م. ابن عذارى: البيان المغرب ج212/2-220.

([4]) المجالس والمسايرات، ص214-217.

([5]) المصدر السابق، ص483.

الإمامة وابن بكر الناكث المتغلب على فاس، وفتحها الله تعالى على وليه وما والاها من أرض المغرب، أخذ قائد ذلك الجيش أبناء جميع وجوه أهل المغرب ورؤسائهم رهائن عنده، وقدم بهم وبكل وجه كان بذلك الصقع ممن يطاع به ويخالف جانبه، وجاء فيهم بجماعة من الحسنيين الذين تناسلوا من ولد إدريس وتأمروا في القبائل وادعوا الملك، فلما وصلوا إلى الحضرة، أمر أمير المؤمنين (ص) بإنزالهم، وكساهم، ووصلهم وحملهم، وأجرى عليهم النزل الواسع. فأقاموا على ذلك مدة ثم من عليهم بتسريحهم وإطلاقهم إلى بلدانهم، وأمرهم بصلات وخلع وحملان، وبعث معهم إلى آبائهم وأكابر أهاليهم بكسي وصلات وسرج".

كما ظهرت الحوادث على شكل مذكرات كتبها القاضي النعمان عن مسايرة جرت بينه وبين الخليفة المعز، حيث سأل المعز قاضيه النعمان عن أبنيه وهل تزوجا، فأجابه النعمان بأن لهما جاريتين، واستمر الحديث الذي يؤرخ له النعمان فيعطي به صورة لأحواله المادية وأحوال عصره، حتى ينهيه وقد أمر لهما المعز بمسكن ومساعدة على الزواج[1].

ثانياً: طبيعة الحوادث التاريخية في المجالس والمسايرات من حيث الاستطراد – الإيجاز – التكرار:

من تنوع للصور التي ظهرت عليها الحوادث التاريخية في المجالس والمسايرات إلى طبيعة هذه الحوادث من حيث الاستطراد في الحدث أو ذكره بإيجاز، وهل يكرر النعمان حوادثه التي يرويها أم لا.

([1]) المصدر نفسه، ص543-544.

ومن خلال التدقيق في كتاب المجالس والمسايرات، وتفصيل الحوادث الواردة به، يتضح ذلك التنوع الذي وردت عليه الحوادث التاريخية في الكتاب، فقد استطرد النعمان في بعض الحوادث التي أوردها ومرجع ذلك إلى أهمية هذه الحادثة، وما حازته من اهتمام في بلاط المعز لدين الله، وإلى اهتمام القاضي النعمان ذاته بهذه الحادثة لما تعنيه من أهمية لسيده المعز وتاريخ الدولة الفاطمية.

ومن هذه الحوادث ما ذكره عن الصراع البحري بين المعز لدين الله الفاطمي وعبد الرحمن الناصر الخليفة الأموي في الأندلس "وانتهى إلى أمير المؤمنين المعز (صلع) أن مركبا لبني أمية قدم من المشرق، فلما صار بين صقلية وإفريقية مر بجزيرة فصادف فيها قاربا فيه نفر قدموا من صقلية يريدون إفريقية، وفيه كتاب من عامل صقلية إلى أمير المؤمنين، فخاف الأندلسيون أن ينذروا بهم فأخذوا رجل قاربهم (أي سكانه) واختطفوا بعض أمتعتهم وأخذوا فيما أخذوا الخريطة التي فيها كتاب عامل صقلية، وتركوا القارب بمن فيه بالجزيرة لا يجدون من يحملهم إلى ان مر بهم مركب فركبوا فيه وأتوا بالخبر، فغضب أمير المؤمنين صلوات الله عليه وأمر بإخراج مراكب حربية وأدخل فيها رجالا من رجال البر والبحر.. ونزل من بالأسطول من رجال البحر واستولوا على المرية[1] وانهزم عنها جمع الأموي، فأحرقوا ما بها من المراكب والخزائن.. وحل بالأمير الأموي الداهية، واضطربت عليه البلاد، وخاف خوفا شديدا، فألف المراكب وجمع جميع رجاله ومن يوصف بالنكاية ببلده وأخرج أسطولا في العام المقبل بعد أن كتب إلى طاغية الروم يسأله النصرة... وانتهى أسطول بني أمية إلى بعض مراسي المغرب الخالية القليلة العدد.. فخرج إليهم أهل تلك الناحية فقتلوا منهم بشرا كثيرا فهزموهم

([1]) المرية: مدينة كبيرة في ساحل الأندلس الشرقي، منها يركب التجار وفيها تحل المراكب، بها مرفأ ومرسى للسفن، يضرب ماء البحر سورها وفيها ترتيب أسطول الأندلس. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج119/5.

فمات في البحر أكثر مما قتلوه.. وأمر (المعز) بتجهيز الجيوش إلى أرض المغرب لتتبع كل من مال إلى بني أمية بالقتل واجتياحهم عن جديد الأرض... فالكلام في هذا يتسع"[1].

استطرد النعمان في هذه الحادثة فأفرد لها تسع عشرة صحيفة تؤرخ لما دار بين المعز والناصر من صراع بحري ثم مراسلات حتى وصل الأمر إلى التلاعن على المنابر في الأندلس والمغرب، وكان لأهمية هذه الأحداث في بلاط المعز واهتمام النعمان بها الأثر الأكبر في الاستطراد في سردها.

وربما ذكر القاضي النعمان حادثة تاريخية مهمة بإيجاز في سطور قلية، وذلك رغبة في إلقاء الضوء عليها مع التقليل من أهميتها، ربما لم لحق بها من فشل سياسي مثلما حدث في محاولة فتح مصر في عهد المهدي، فقال على لسان المعز[2]: "ولقد أنهض المهدي بالله (ص) قرة عينه ومهجة نفسه القائم (ص) إلى مصر كرتين، وهو عالم بأنها لا تفتح على يديه، ولكنه أراد تأكيد حجة الله عليهم بدعوته، وألا يدع شيئا من المجهود إلا بلغ منه ما في نفسه، وإن كان ذلك قد أدخل الشك على بعض المستضعفين في أمره، ولذلك كرهنا أن ندخل عليهم مثله بالحركة في غير آوان الوقت. ولقد أخبرني المنصور بالله (ص) أنه تلقى القائم (عم) عندما انصرف من الكرة الثانية عن مصر، وقد كان المهدي بالله ارتحل بعد خروجه إلى المهدية، قال: فلما انتهى القائم (صلع) إلى باب المهدية نظر إليه ثم قال: (**إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا**). ودخل، ودخلت معه إلى المهدي بالله (صلع) في وقته ذلك، فسلم عليه وضمه إليه ثم قال: (**إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا**). فكأنما نطقا بذلك معا (صع) بلسان واحد وعن رؤية واحدة".

([1]) المجالس والمسايرات، ص164-183.

([2]) المصدر السابق، ص476.

وفي بعض الأحيان كرر القاضي النعمان الحديث في موضوع واحد، وذلك ربما لتكرار الحدث في مجالس المعز التي يحضرها النعمان، أو لحدوث جديد في هذا الأمر، فمثلا في حديثه عن علاقة المعز مع ابن واسول أمير سجلماسة يبدؤها بقوله: [1] "ولما تمادى أمر اللعين ابن واسول وارتكب ما ارتكبه وتعاطى ما تعاطاه من التغلب بسجلماسة وخلع طاعة الأئمة وتسمى بالإمام أمير المؤمنين الشاكر لله، وهو الكافر بالله (عج) لعظيم ما ارتكبه من نهيه، رأى المعز لدين الله (صلع) جهاده لعظيم جرمه، وأنه لا يسعه تركه لما تعدى إليه وتعاطاه. فأنهض إليه عسكره فأمكنه الله (عج) من رحمته من غير يد لأحد من الخلق عليه فيه".

ثم يرجع إلى هذه الحادثة بعدها بصفحات ويسرد وضع ابن واسول في محبسه وكيف أذن له المعز بصلاة الجمعة في حضرته، وما جرى بينهما من حديث ونقاش[2].

ثم يعود بعدها ليتحدث – أيضا – عن ابن واسول فيقول[3]: "وكان هذا العيد وقد أمكنه الله من محمد بن واسول المدعى بإمامة المسلمين والمسمى بأمير المؤمنين... فأعرض عنه لما رآه لم يفهم قوله".

ثم يرجع القاضي النعمان ليؤرخ لأحداث المعارك بين المعز وابن واسول فيقول[4]: "ولما قفل الجيش المنصور من أرض المغرب بعد أن أظفر الله (تع) وليه بابن واسول المدعي الإمامة... وبعث معهم إلى آبائهم وأكابر أهاليهم بكسى وصلات وسرح".

([1]) المجالس والمسايرات، ص388.

([2]) المجالس والمسايرات – ص411-414.

([3]) المصدر السابق – ص458-459.

([4]) المصدر نفسه، ص483.

هذه الأحداث التي تحمل الكثير من التكرار كان مرجعها إلى معاصرة القاضي النعمان هذه الأحداث، فهو شاهد عيان عليها، عاش خطواتها مع المعز وجرت أحداثها على مرأى ومسمع منه في بلاط الفاطميين، من أجل ذلك كان هناك شيء من التكرار يحدث كلما جد جديد في أحداثها أو كلما ذكر شيء عنها في مجالس المعز لدين الله الفاطمي.

ثالثاً: نوعية الحوادث التاريخية وأسس انتقاء مادتها:

تنوعت الحوادث التاريخية في المجالس والمسايرات فلم تأت كلها من نوع واحد، فقد أرخ القاضي النعمان في كتابه لأنواع مختلفة من الحوادث.

حيث أرخ **للحوادث السياسية**، ومنها ما ذكره عن عفو المعز لدين الله الفاطمي عن بعض الأمراء الأدارسة الحسنيين فقال[1]: "فصفوا بين يديه وأدنى الحسنيين وأمرهم بالجلوس، ثم قال للجميع: قد علمت ما كان من إحساننا إليكم وفضلنا عليكم، وعفونا وصفحنا عما سلف من أموركم، وقد سرحناكم لما اتصل بنا من شهرتكم ومما خلفتموه وراءكم في سراحكم وشوق بعضكم لبعض، فآثرنا إسعافكم بذلك والمن به عليكم".

كما أرخ **لحوداث عسكرية**، ومنه ما ذكره عن هزيمة الجيش الذي أرسله عبد الرحمن الناصر إلى المغرب فقال[2]: "لقد أخبرني مخبر قدم من أرض الأندلس أن اللعين الأموي لما أحس بالعساكر التي أولجناها الغرب، اشتد خوفه واستولى عليه ذعره، فأرسل أوثق قواده عنده بعسكر أوعب فيه إلى ناحية المرية، فضرب على ساحل البحر مضاربه وأناخ به عسكره، إلى أن واتى مركب

(1) المجالس والمسايرات، ص483-484.
(2) المصدر السابق، ص217.

به أهل يعلى[1] اللعين يخبرون بقتله وقتل أهل بيته واستيلاء العساكر في ساعة واحدة على مدينته وقياطينه (خيامه). وجاء في مركب مخبر آخر يخبر عن هرب صاحب سجلماسة (ابن واسول) ولم يكن علمه بأسره، فما هو إلا أن بقى بالمناخ إلا مضرب القائد، وهم من وراء البحر فالحمدلله له الذي ألقى لنا في قلوب أعدائنا ذعره".

كما أرخ **لحوادث اقتصادية**، ومنه ما ذكر في التكلفة التي تحملتها خزائنهم في حرب أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي فقال: [2] "وذكر الإمام المعز لدين الله (ص) يوما وأنا جالس بين يديه أمر الفتنة وما جرى فيها من المحنة، فذكر بعض من كان بين يديه ما أنفق فيها القائم (عم) من الأموال يقول مجمل، يستكثر ذلك ويعظمه. فقال المعز لدين الله (ص): أفلا أخبركم عن جملة ما أنفق فيها؟.

قلت: يخبر أمير المؤمنين بما أحبه، فإنا لنحب ذلك.

قال: (عم) أمر (عم) هذا – وأومأ بيده إلى خازن بيت مال القائم وهو بين يديه – أن لا يخرج من النفقة في ذلك إلا من ماله، وعزل له مائة ألف دينار وأثنى عشر ألف ألف درهم، وقال له: احذر أن تنفق في شيء من أمر هذه الفتنة شيئا من غير هذا المال، فإنك إن أنفقت شيئا من غيره ذهب ضياعا، ولابد من أن ينفذ هذا المال في هذه النفقة كلها.

فوالله ما زاد عليه ولا نقص منه، ولا كان إلا كفاف النفقة في ذلك حتى انقضت الفتنة بفراغه.

([1]) يعلى هو: يعلى بن محمد اليفرني، كان واليا من قبل المعز على ايفكان وتاهرت ثم تحالف مع الأمويين، فقلته جوهر الصقلي في حملته المغربية الكبرى سنة 347هـ/988م وأسر ابنه. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ج4، ص46.

([2]) المجالس والمسايرات، ص551.

ثم نظر إلى الخازن فقال : أليس كذلك كان الأمر؟

قال: نعم، كذلك كان أمرني القائم (عم)، وما أنفقت غيره وما بقي منه درهم فما فوقه ولا احتيج إلى غيره".

كذلك أورد **حوادث اجتماعية**، ومنها تأريخه لطهور أبناء الخليفة المعز فقال[1]: "ولما أراد الإمام المعز لدين الله (صلع) أن يطهر عبد الله ونزارا وعقيلا بنيه تقدم إلى خاصته وأوليائه وسائر جنده وعبيده، وجميع رجاله وكافة من بالحضرة من سائر التجار والصناع وعامة الرعية بالمنصورية والقيروان، وجميع أهل مدن إفريقية وكورا من حاضر وباد، وأمر بالكتب إلى العمال من لدن برقة وأعمالها إلي سجلماسة وحدودها وما بين ذلك وما حوته مملكته وإلى جزيرة صقلية ومن بها من طبقات الناس في حضر وبدو، أن يتقدموا في طهور أبنائهم يوم الثلاثاء أول يوم من شهر ربيع الأول من سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة إلى انقضاء هذا الشهر، وأمر أن يحمل إلى كل بلد من هذه البلدان من الحضرة أموال وخلق تفرق على كل من طهر من أبناء المسلمين من خاص وعام".

وقد اهتم القاضي النعمان أيضا **بالحوادث العمرانية** ومن أمثلة ما ذكره فيها قوله[2]: "وذكر المعز لدين الله (صلع) يوما بناء لبعض الأولين وما فيه من العجائب، فذكر بعض من حضر، بناء المعز (ص) وما هيأه الله (عز وجل) من بناء النهر المعزي وإجرائه في القناة العجيبة المرصوصة بالحجر والجيرة المبنية به العجيبة البناء مسيرة يوم، ثم بناء القصر الشامخ العظيم البنيان بالحجر المنحوت المقطوع من الجبل، على بعد مسافته، ولم يتهيأ لأحد من ملوك الدنيا الذين ملكوا الموضع

(1) المصدر السابق، ص556.

(2) المجالس والمسايرات، ص552.

أن يضعوا فيه حجرا على حجر، وبناء الإيوان العجيب الشامخ وجر العمد الهائلة من مسيرة يوم إليه ورفعها، بعد أن أجمع الناس على أنه لو اجتمع أهل الأرض ما استطاعوا عمل ذلك منها".

كما تناول النعمان في كتابه نواحي إدارية خاصة بالدولة الفاطمية ومنها ولاية العهد فأورد من ذلك رواية عن المعز لدين الله وتوليته ولاية العهد، والأهم هو وضع ولي العهد في بلاط الفاطميين، فقال في هذه الرواية على لسان المعز[1]: "مذ والله قبض الله المهدي بالله (عمه) صرت إلى المحسن العظام، وإن كنت لممتحنا قبل ذلك بمحن كثيرة، إنه لما كان من أمر الله في المهدي (ص) ما كان، لم يتقدم القائم (عم) للصلاة عليه حتى أخذ بيدي وخلا بي فقلدني عهده وأسر إلى ذلك واستكتمني إياه، فوالله ما علمه بذلك منه إليَّ بعد الله غيري، وأقمت مدة أيام حياته ثلاث عشرة سنة أنظر إلى من قرب منه ومن

وقد نوع النعمان في تأريخه للحوادث حتى إنه ليؤرخ الاختراع جاء على يد المعز لدين الله – كما يذكر – وفيه يقول[2]: "ذكر المعز لدين الله القلم، فوصف فضله ورمز فيه بباطن العلم ثم قال: نريد أن نعمل قلما يكتب به بلا استمداد من دواة، يكون مداده من داخله، فمتى شاء الإنسان كتب به فأمده وكتب بذلك ما شاء، ومتى شاء تركه، فارتفع المداد، وكان القلم ناشفا منه، يجعله الكاتب في كمه أو حيث شاء فلا يؤثر فيه ولا يرشح شيء من المداد عنه ولا يكون ذلك إلا عندما يبتغي منه ويراد الكتابة به فيكون آلة عجيبة لم تعلم أن سبقنا إلهيا ودليلا على حكمة بالغة لمن تأملها وعرف وجه المعنى فيها.

فقلت : ويكون هذا يا مولانا، عليك السلام؟!

([1]) المجالس والمسايرات، ص448.

([2]) المصدر السابق، ص319، 320.

قال: يكون إن شاء الله.

فما مر بعد ذلك إلا أيام قلائل حتى جاء الصانع الذي وصف له الصنعة به، معمولا من ذهب فأودعه المداد وكتب به فكتب، وزاد شيئا من المداد على مقدار الحاجة، فأمر بإصلاح شيء منه فأصلحه وجاء به فإذا هو قلم يقلب في اليد ويميل إلى كل ناحية فلا يبدو منه شيء من المداد، فإذا أخذه الكاتب وكتب به كتب أحسن كتاب ما شاء أن يكتب به، ثم إذا رفعه عن الكتاب أمسك المداد.

فرأيت صنعة عجيبة لم أكن أظن أن أرى مثلها".

وعلى تنوع هذه الحوادث واختلافها، إلا أن انتقائها كان يحكمه أسس، وتحكمه في إيرادها ونوعيتها عوامل.

من أهم هذه العوامل أن القاسم المشترك في كل هذه الحوادث أنها جرت في بلاط المعز لدين الله، فهو إما أحد صناع هذا الحدث، أو راوية، أو على الأقل معني به.

كما كان من أسس انتقاد هذه الحوادث حضور القاضي النعمان لها ومشاهدته إياها، أو سماعه لهذه الحوادث من المعز أو من أحد أتباع الدولة الفاطمية.

كذلك كان من أسس انتقائها أن هذه الحوادث هي تاريخ لمجد الدولة الفاطمية وخليفتها المعز، فكان المقصود منها تسجيل أحوال الدولة الفاطمية وتعظيم أئمتها، أو حتى تبرير مواقفهم والتهوين من أخطائهم.

رابعا: المادة الوثائقية في المجالس والمسايرات:

الوثائق جمع وثيقة: وهي كل ما يمكنك الاعتماد عليه في كتابة تاريخ عصر أو رجل أو حادثة، وأهمها المؤلفات والمدونات المكتوبة الرسمية وغير الرسمية[1].

وقد حوى كتاب المجالس والمسايرات في طياته الكثير من مراسلات المعز لدين الله الفاطمي، والتي تعد وثائق رسمية مهمة ترجع إلى عصر متقدم، وقد حفظها لنا القاضي النعمان بإيراد نصها في كتابه.

ومن هذه الوثائق كتاب المعز لدين الله الفاطمي الموجه إلى إمبراطور الدولة الرومانية، بعد أن أرسل الإمبراطور جيوشه لاحتلال جزيرة أقريطش[2]، فاستنجد أهلها بالمعز، وكانوا تحت دعوة بني العباس، فغضب لهم المعز وأرسل إلى امبراطور الروم مهددا بنقض العهد الذي بينهما إن هو أقدم على احتلال الجزيرة، وكان مما جاء في الرسالة[3]: "ولا ترى أن دعوة أهل أقريطش قبل اليوم إلى غيرنا وقد أنابوا اليوم إلينا واستغاثوا بنا مما يوجب لك عندنا تمام الموادعة بتركهم إليك وترك اعتراضك فيهم. إن امتناع أهل الحق ليس بمزيل حقهم وإن تغلبوا عليه دونهم، بل هو لهم بتصيير الله (تع) إياه لهم. فأقريطش وغيرها من جميع الأرض لنا، بما خولنا الله منها وأقامنا له فيها، أطاعنا منها من أطاع وعصانا من عصى، وليس بطاعتهم يجب لنا أن نملك ولا بعصيانهم يحق علينا أن نترك، ولو كان ذلك لكان الأمر إلهيم لا لله (تع) الذي خولنا ولايتهم، وإن شاؤوا أعطونا وإن أحبوا

([1]) د/ حسين مؤنس: التاريخ والمؤرخون، ص51.

([2]) أقريطش: وهي جزيرة كبيرة في بحر المغرب بها مدن وقرى افتتحها أبو حفص عمر بن عيسى الأندلسي المعروف بالأقريطشي في سنة 210هـ في خلافة المأمون، وقيل فتحت بعد 250هـ على يد عمرو بن شعيب، ويقصد بها (كريت) الآن. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج236/1.

([3]) المجالس والمسايرات، ص444.

منعونا، كلا! إن ذلك لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وهو الذي اصطفنا وملكنا وأعطانا، ولو كان ذلك للخلق لما وسعنا قتال من امتنع منهم علينا ولا رد ما انتزعوه بالغصب من أيدينا إذا أقدرنا الله على ذلك وبه قوانا... فانظر لنفسك ولأهل ملتك فإنا مناجزوك وإياهم الحرب بعون الله لنا وتأييده، ولا حول ولا قوة إلا به".

ومن هذه الوثائق المهمة تاريخيا، المحفوظة في المجالس والمسايرات خطاب المعز إلى الإخشيديين بمصر يطلب منهم التحرك لإنقاذ أهل أقريطش المسلمين من هجوم الروم، وقد جاء في الخطاب[1]: "إن الله – سبحانه – قد خولنا من فضله وأمدنا من عونه وتأييده بما نرى أنا بحوله وقوته ونصره لنا وإظهارنا على عدونا نكف أيدي الكفرة عما تطاولت إليه من حرب هذا الصقع والإيقاع بأهله. وقد انتهى إلينا أنك أظهرت الحركة إلى الجهاد وإمداد هؤلاء القوم بمراكب من قبلك، وأنت لعمري بذلك أجدر لقربهم منك واتصالهم بك وميرهم بلدك وكونهم وإياك في دعوة واحدة، ولو أسلمناهم إليك وقعدنا عنهم لما كان لك ولا لهم علينا حجة في ذلك، ولكنا آثرنا نصرة أمة جدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ولم نرد التخلف عن ذلك وقد رجونا له، وألقوا بأنفسهم إلينا فيه، ونحن لا نحول بينك وبين الجهاد في سبيل الله، ولا نمنعك من تمام ما أملت له، فلا يكن ما يتصل بك من إنقاذ أساطيلنا يريثك عن الذي هممت من ذلك، وأن تخشى على من بعث به وعلى مراكبك منا، فلك علينا عهد الله وميثاقه أن لا نكون معهم إلا بسيل خير، وأنا نحلهم محل رجالنا ونجعل أيديهم مع أيدينا ونشركهم فيما أفاء الله علينا، ونقيمهم في ذلك وغيره مقام رجالنا، ومراكبك مقام أساطيلنا حتى يفتح لنا إن شاء الله، ثم ينصرفوا إليك على ذلك أو يكون من أمر الله وقضائه ما هو فاعله. فالعلم ذلك وثق به منا، ففي تضافر المسلمين على عدوهم

([1]) المجالس والمسايرات، ص445-446.

واجتماع كلمتهم إعزاز لدين الله وكبت لأعدائه، فقد سهلنا لك السبيل والله على ما نقول وكيل، فإن وثقت بذلك ورأيت إيثار الجهاد فاعمل على أن تنفذ مراكبك إلى مرسى طنبة من أرض برقة لقرب هذا المرسى من أقريطش، ويكون اجتماعهم مع أساطيلنا بهذا المرسي مستهل ربيع الآخر (350هـ/961م) بتوفيق الله وقوته وتأييده ونصره وعونه. وإلا ترى ذلك فقد أبلغنا في المعذرة إليك والنصيحة لك، وخرجنا مما علينا إليك. ونحن بحول الله وقوته وتأييده ونصره وعونه مستغنون عنك وعن غيرك، وعلى عزم وبصيرة في إنفاذ أساطيلنا ورجالنا وعدتنا وماخولنا الله إياه وأقدرنا عليه، مما نرى بحوله وقوته أنا نبلغ به ما نؤم إليك بذلك ونصمد نحوه. فبالله نستعين وعليه نتوكل، وعلى تأييده نعول، وهو حسبنا ونعم الوكيل".

تلك نماذج من وثائق وردت في المجالس والمسايرات، وقد شملت الوثيقتين تحليلا كاملا للأوضاع السياسية والعسكرية، والعلاقات في منطقة البحر المتوسط في تلك الفترة بين الفاطميين والإمبراطورية الرومانية والإخشيديين وكذلك أحوال الخلافة العباسية في هذا التوقيت، إضافة إلى تفاصيل أخرى، وهذا ما يعطي للوثائق أهمتها الكبرى في الاستناد إليها في تدوين التاريخ عموما

المبحث الثالث

الموارد وطرق النقل عنها في المجالس والمسايرات

يغني المؤرخون القدامى بأحداث عصرهم، أو الأحداث التي سبقته بفترة قصيرة فكانوا يتصلون بأعلام المعاصرين وبرجال الجيش والإدارة ويسمعون منهم الأحاديث عن الموضوعات المختلفة، وكان بعض هؤلاء ممن اشتركوا في الحروب أو في التدوين أو في الوزارة أو شغلوا مناصب رئيسة في الدولة، فكان اعتمادهم عظيما على اتصالهم بالرجال وبالأحداث نفسها[1].

فتدوين التاريخ يحتاج إلى مصادر يستقي منها الكاتب مادته التاريخية، تكون هذه المصادر معاصرة للأحداث أو ناقلة عمن عاصر هذه الأحداث أو دالة على وقوعها، ولهذه الموارد أهميتها فبدونها لا تكون مادة كتابة التاريخ، لذا كثر البحث فيها من حيث أنواعها وطرق النقل عنها وهي كالآتي:

أولا: أنواع الموارد:

تعددت الموارد التي اعتمد عليها القاضي النعمان في كتابه المجالس والمسايرات، ما بين رواية شفوية استند في معظمها إلى الخليفة المعز لدين الله، ومشاهدته ومشاركة في الأحداث، ومشافهة وسماع توفرا له من خلال موقعه المتميز في بلاط الفاطميين وغير ذلك وأمثلته كما يلي:

الرواية الشفوية وهي أحد أقدم مصادر كتابة التاريخ ومن أهم موارده، وقد اعتمد عليها النعمان كثيرا، يذكر في رواية عن المعز لدين الله ما دار بينه وبين الخليفة المنصور حول تقصير الخليفة

(1) د/ سيدة كاشف: مصادر التاريخ المصري، ومناهج البحث فيه، ط مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة (بدون تاريخ) ص54.

القائم في مواجهة ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي يقول فيها[1]: وسمعته (صلع) يقول: قلت يوما للمنصور (صلع) وقد ذكر أمر الفتنة وما حاول فيها إلى أن كشفها الله (عج) على يديه، فقلت: لو قد كان القائم بأمر الله (صلع) حاول من ذلك ما حاولت وقام منه بما قمت، فجلاها، والأمر مجتمع والحال صالح، ولم يدع ذلك إلى أن كان ما قد كان من الفساد في الأرض؟ فقد كان من القوة والمنعة ومكانفة الرجال في أكثر مما كنت أنت فيه يوم قمت بذلك.

فقال لي: أعيذك بالله أن تعود إلى مثل هذا القول، بل استغفر الله منه، والله ما كان للقائم (عم) أن يفعل إلا ما قد فعله، ولا كان لي أن أفعل إلا ما فعلت...".

ومن موارد النعمان أيضا **المشافهة والسماع** وهي سماع الشهادة من الشهود مباشرة، يذكر النعمان[2]: "لقد أخبرني مخبر قدم من أرض الأندلس أن اللعين الأموي لما أحس بالعساكر التي أولجناها الغرب، اشتد خوفه واستولى عليه ذعره، فأرسل أوثق قواده...".

كذلك اعتمد النعمان على **المشاهدة والمشاركة** وقد أعطى هذا المورد للنعمان ميزة ولكتابه أهمية، ومن ذلك قوله[3]: "وقدم على أمير المؤمنين المعز لدين الله (صلع) رسول بعض الدعاة بالمشرق بمال حمله ذلك الداعي إياه من أعمال المؤمنين، فأدخله المعز (ص) وسأله عن أحوال ذلك الداعي والمؤمنين قبله.. وذلك فيما ذكره: أنه أرسل في طلبه فأدخله إليه وسأله عما قدم به فأخبره.

([1]) المجالس والمسايرات، ص248.

([2]) المصدر السابق، ص217.

([3]) المصدر نفسه، ص370، 371.

فقال: أما إني لو شئت أخذ ذلك لأخذته لأنه أو أكثره من عند أصحابي ورجالي. فقلت: أيها الأمير، أو تقول غير ذلك؟!

فقال: وما هو؟

قلت: تقول: إن الذي في يديك أنت، منهم وعنهم، لقيامهم معك وعقدهم إياك. قال: أجل، إنه لكما قلت...".

كما اعتمد النعمان في موارده على **الوثائق الرسمية** التي تحصل في يده وهو في بلاط الفاطميين، ومنها[1]: "فكتب أمير المؤمنين المعز لدين الله (ص) إلى من يكاتبه بمصر جوابا عن كتابه إليه بذلك يخبره أنه قد أمر بإخراج الأساطيل وأخذ في عدتها...".

كذلك جعل النعمان من مؤلفاته السابقة موردا لكتابه، ومنها قوله[2]: "وسألني بعض القضاة والحكام والطلبة بسط كتاب مختصر من قول أهل البيت (صع) لهم يقرب معناه ويسهل حفظه وتخف مؤنته.. وسمه (المعز) "كتاب الاختصار لصحيح الآثار عن الأئمة الأطهار.. لأن فيه من علم أولياء الله ما يحق على كافة الخلق طلبه بأرواحهم فضلا عن أمواله...".

وهكذا تنوعت موارد النعمان في كتابه المجالس والمسايرات، إلا أن اعتماده على الأنواع الثلاث الأولى الرواية الشفوية، والمشافهة والسماع، وأخص المشاهدة والمشاركة كان هو الأعم الأغلب من بين موارده، وهذا ما أضاف قيمة علمية كبيرة للكتاب، فصاحبه من صناع الحدث أو ممن شاهدوه وعاصروه.

([1]) المجالس والمسايرات، ص445.

([2]) المصدر السابق، ص360.

ثانياً: طرق النقل عن الموارد في المجالس والمسايرات:

تطور علم التاريخ عند المسلمين حتى أصبحت كتابة التاريخ ونقل رواياته يحكمها أسس، ولها مناهج متبعة، وفي فترة كتابة المجالس والمسايرات كانت حركة التطوير في نهضة مستمرة تأثر بها القاضي النعمان، وظهر هذا التأثر في المجالس والمسايرات.

ولمعرفة منهج القاضي النعمان والطرق التي اتبعها في النقل عن موارده نستعرض النقاط التالية:

أ) الإشارة إلى المصدر الذي ينقل عنه:

عني النعمان بذكر المصدر الذي ينقل عنه مادته، خصوصا وأن المصدر الرئيس لهذا الكتاب كان الخليفة المعز لدين الله ذاته، فكان ذكره ضرورة، ظهرت على وجوه: بذكره صراحة أو الإشارة إليه وأحيانا أهمل ذكر المصدر تماما وربما زاد تفاصيل أكثر.

فمن ذكر اسمه صراحة قوله[1]: "قال المعز (صلع): فكأنه كان يرى ما حل بعد ذلك من الفتنة...".

ومن أمثلة الإشارة إليه قوله[2]: "وسمعته (صلع) يقول وقد ذكر البغي على الناس والوقيعة فيهم...".

وربما كان مصدر النعمان كتاب وعندها ربما زاد على ذكر اسم الكتاب ذكر سبب تأليفه ومن ذلك قوله[1]: "وسألني بعض القضاة والحكام والطلبة بسط كتاب مختصر من قول أهل البيت

([1]) المجالس والمسايرات، ص323.

([2]) المصدر السابق، ص247.

(صع) لهم يقرب معناه، ويسهل حفظه وتخف مؤنته.. وسمه "كتاب الاختصار لصحيح الآثار عن الأئمة الأطهار...".

وفي أحيان أخرى يهمل النعمان ذكر المصدر تماما ومن ذلك قوله[2]: "وتصفح يوما أخبار بني العباس في بعض الكتب، فمر على يديه كتاب فيه أخبار المتغلبين من بني العباس وسيرهم مما ألفه وجمعه بعض رجالهم عن قصد إلى ذكر فضائلهم وتخليد أخبارهم ومآثرهم...".

ب) الإشارة إلى بداية النقل وانتهائه:

كما عني القاضي النعمان بالإشارة إلى كلام مصدره من حيث بداية وانتهاء النقل والتمييز بين حدثه الخاص، وبين المنقول عن مصدره، وذلك بعدة وجوه وهي:

ذكر كلمات معبرة عن أن ما سيأتي هو كلام مصدره كقوله[3]: "وذكر الربيع يوما في مجلس المعز (صلع) وما يكون فيه من الخضر والزهر والنبت وتفتح الشجر... وما يخرج به أهل الخلاعة والبطالة إليه – إذا اعتم نبته وزها نواره واخضر عشبه وتفتحت أشجاره – من ألوان الأطعمة وخبائث الأشربة وفي نزههم إليه، وما يعكفون به من لهوهم عليه.

فقال المعز (صلع): سبحان الله! ما كان أولاهم إذا نظروا إلى عظيم قدرته فيما أخرجه من نبات الأرض ونوارها...".

([1]) المجالس والمسايرات، ص359-360.

([2]) المصدر السابق، ص330.

([3]) المصدر نفسه، ص329.

أو ذكر المنقول عن مصدره بين لفظين يفيدان بداية وانتهاء كلام المصدر ومن ذلك قوله[1]: "وذكر الكيمياء يوما فقال: سمعت المنصور بالله (عم) ذكرها وقال.. إذا تكمي بسلاحه وتغطي به.. وكان ذكر المعز صلوات الله عليه لذلك يعقب شيء ذكره من علم الباطن...".

أو عن طريق الفصل بين كلامه وما ينقله عن مصدره ومن ذلك ما كان يدور بين النعمان والخليفة المعز من مسايرات كقوله[2]: "قال المعز (عم): هذه محاسن القوم، فكيف بمساوئهم؟ وهذا قول من قصد بقوله مدحهم وفخرهم فكيف بمن قصد ذمهم ومعايبهم؟

فقلت: الحمد لله الذي لم يجعلنا من أتباعهم وفي أزمانهم فنكون مثلهم ومعهم، ونحشر في زمرتهم. قال: نعم، الحمد لله على ما من به عليكم بنا وقسم لكم من ولايتنا ولطف لكم من الكون معنا".

أو حتى عن طريق ذكر كلام داخل النص يفيد استمرار النقل عن نفس المصدر ومنه قوله[3]: "وقدم إليه (صع) بطريق من بطارقة الروم وأشرافهم رسولا من طاغيتهم صاحب القسطنطينية بما أوجبه على نفسه من مغرم الجزية... فأجاب المعز (صع) رسوله عن ذلك بأن الدين والشريعة يمنعان من الذي سأله من الهدنة المؤبدة.. فقال المعز (صع): فإذا كان الأمر على ما تصفه من ملكك أنه يغلب على أمره.. وقال المعز (ص): إن أحدا من الناس لا يرسل رسولا إلى أحد إلا لحاجة إليه ولأمر يجب له عليه...".

([1]) المجالس والمسايرات، ص334.

([2]) المصدر السابق، ص331.

([3]) المصدر نفسه، ص366 – 369.

جـ) الاهتمام بمصادر مصدره الذي ينقل عنه:

اعتمد القاضي النعمان في موارده على الرواية الشفوية إضافة إلى المشاهدة والمشاركة، والمشافهة والسماع إلى جانب أنواع أخرى إلا أن التركيز كان على هذه الثلاث في استسقاء مادته التاريخية، من أجل ذلك عني بذكر مصدر هذه الموارد إن كانت منقولة عن مصدر.

ومن ذلك قوله[1]: "وقدم على الإمام المعز لدين الله – صلوات الله عليه – رسل جماعة من الدعاة من جزائر شتى بعيدة.. فقال (ص): إنا لم نتخلف عن ذلك إلا انتظارا للمدة التي وعدنا الله الظهور فيها.. ولقد أخبرني المنصور بالله (ص) أنه تلقى القائم (عم) عندما انصرف من الكرة الثانية عن مصر...".

وفي أحيان أخرى يذكر الرواية ومصدره ولا يذكر المصدر الذي نقل عنه مصدره ومن ذلك قوله[2]: "ذكر للمعز (صلع) بعض دعاته بعض عمال المهدي (ص)، فقال: ذكر عنه أنه افتتح مدينة فلم يصب فيها كثير شيء، فاغتم لذلك وأرسل إلى أهله خاصته... وقال المعز لدين الله (صلع): وأخبرني عنه بعض من يخصه ويقربه أنه أدخله إليه يوما إلى داره...".

د) أسلوب النعمان في النقل عن مصادره:

المصدر الرئيس للمجالس والمسايرات هو الخليفة المعز لدين الله ذاته، حيث وضع قاضيه النعمان هذا الكتاب تأريخا لمجالسه ومسايرته، ولمعرفة أسلوب النعمان في النقل عن هذا المصدر، هل هو لفظا ومعنى أم اكتفى بالمعنى دون اللفظ، وكيفية ترتيب النقول والأحداث، يمكننا معرفة ذلك بالاستناد مباشرة إلى كلام نص عليه النعمان في مواضع من كتابه المجالس والمسايرات.

([1]) المجالس والمسايرات، ص475-476.

([2]) المصدر السابق، ص493، 494.

ففي صدر الكتاب ذكر النعمان: [1] "أذكر في هذا الكتاب ما سمعته عن المعز صلوات الله عليه من حكمة وفائدة ومعرفة، عن مذاكرة في مجلس أو مقام أو مسايرة، وما تأدي إلى من ذلك عن بلاغ أو توقيع أو مكاتبة، على تأدية المعنى دون اللفظ، حقيقة دون زيادة ولا نقص، بعد بسط العذر في التخلف عن تأدية حقيقة لفظه بحسبه".

وفي طيات الكتاب يتحدث النعمان عن اجتهاده في تدوين ما سمعه في مجلس المعز ومحاولته ذكر الحديث بنصه – قدر الإمكان – فيقول[2]: "وقمت كذي الثقل الثقيل من كثير ما سمعت من الحكمة من ولي الله والفضل، وتخوفت إن أنا انصرفت إلى مجلس الحكم أن أنساه أو أخل بأكثره لشغب الخصوم وكثرة الكلام وطول المجلس، فاستأذنت أمير المؤمنين عليه السلام في التخلف عن مجلس القضاء يومي ذلك إلى أن أثبته.. وانصرفت وأنا استبعد المنزل وأتذكر ما جرى في المجلس. فما هو إلا أن وصلت إلى منزلي وعلم من كان ينتظر في المجلس أني لا أجلس حتى اتكفؤوا عليّ، فما فرغت منهم ومما عرض لي من الشغل إلى أن أذن المؤذن لصلاة المغرب فصليت المغرب والعشاء الأخرة. وجلست أتذكر المجلس وأوقع ما حفظت منه شيئا بعد شيء حتى أتيت على ما حفظته من ذلك، فأثبته في هذا المجلس وأرجوا أن قد بلغت منه جماع ما كان فيه وأتيت على جملة من لفظه وجمعت معانيه إن شاء الله تعالى".

وفي حديث مطول يتحدث فيه عن خطوات التدوين المتبعة في المجالس والمسايرات بدء بالسماع ثم التدوين قبل العرض على المعز ذاته ومراجعته في كل ما يدون في الكتاب يقول النعمان[3]: "قد كنت قدمت المعذرة في صدر هذا الكتاب أني وإن كنت لم آل اجتهادا في تحري

([1]) المجالس والمسايرات، ص47.

([2]) المصدر السابق، ص224.

([3]) المجالس والمسايرات، ص301-302.

نقل ما نقلته مما أثبته فيه عن الإمام (صلع) بنفس ألفاظه، فقد اعترفت بأني لا أطيق ذلك بالحقيقة وأعجز عنه إن كانت ألفاظ أولياء الله الأئمة كألفاظ جدهم رسول الله (صلع) في الجزالة والفخامة والبيان... غير أني صنعت في ذلك صنيعا لم أعلم أن أحدا ممن نقل الحديث سبقني إليه: وهو أني جعلت كلما أثرت شيئا عن الإمام (عم) كتبته وأريته إياه وعرضته عليه بعد أن قدمت في ذلك العذر عنده، فكلما رأى أني غيرت المعنى عنه قومني على المعنى وردني إليه، فأصلحته عنه وصفح لي (صلع) عما لم أستطعه من حكاية لفظه بحقيقته، فصار ما أثبته في هذا الكتاب كأنه هو لفظه وإن لم يكن هو بحقيقته لما أجازه على المعنى وسقط تهمة التحريف والإحاطة، وإن سقطت فضيلة الفصاحة والجزالة، ومعجز الألفاظ في المقالة ولكنه صار بذلك من أصدق الحديث وأصح النقل، وزالت عنه به التهمة ووجب له به الفضل.

فرفعت يوما إليه (صلع) منه جزءا فقرأه حتى أتى على آخره، وأوقفني على أشياء منه فأصلحتها على ما أمر به أدام الله علو أمره وصرفه إلي، فجعلت اعتذر في التقصير وإسقاط الكثير، وإني إنما أثبت عنه (صلع) بعض ما يعطيه الحفظ، والذي أسقطه النسيان، لما عليه من الغفلة طبع الإنسان، أكثر من ذلك. فقال: إن كان ذلك يا نعمان، فإن الله يجزيك بنيتك ولا يؤخذك بنسيانك، والله ما جمع عن آبائنا قبلك أحد مثل هذا من جمعك وإنه لكتاب قلما يكون مثله من الكتب وإن فيه لحياة لمن كان له قلب".

هذا هو أسلوب القاضي النعمان في النقل كما نص هو عليه، وقد التزم في كتابه هذا الأسلوب، وحاول الاجتهاد في نقل الحديث نصا – قدر استطاعته – وما زاد من التوثيق هو عرضه مادته التي يكتبها على مصدره وهو الخليفة المعز لدين الله، فاكتسب الكتاب أهمية أكبر باشتراك المعز فيه، وتحمله وإقراره بما جاء في المجالس والمسايرات.

المبحث الرابع

النقد التاريخي في المجالس والمسايرات

ظاهرة النقد والتحليل والتعليل، وربط النتائج بالمقدمات أخذت تنتشر أكثر عندما تعرض المؤرخون المسلمون للأحداث التي ألمت بالدولة الإسلامية، وكانت المبادئ التي أخذت تثار في المجتمع الإسلامي دافعا لمزيد من التفكير والكتابة[1].

وبالنسبة للقاضي النعمان (المتوفى 363هـ) وكتابه المجالس والمسايرات فقد كان تطور النقد التاريخي في الكتابة لا يزال في مراحله الأولى، إضافة إلى طبيعة الكتاب الذي وضع تأريخا لأحداث مجالس ومسايرات الخليفة المعز لدين الله فلم يكن من المقبول عنده التعرض بالنقد لأفعال الخليفة، ولكي تتجلى الصورة عن منهج النعمان في النقد التاريخي نستعرض ما يلي:

أولا: أنواع النقد التاريخي في المجالس والمسايرات:

تأثر النقد التاريخي في المجالس والمسايرات بالهدف من تأليف هذا الكتاب، فلم يظهر فيه النقد التاريخي بأنواعه ومظاهره كاملة من نقد للحوادث والأفراد والمصادر، وإنما ظهر على استحياء في نقد لبعض الحوادث، وظهر جليا في نقد الأفراد من خصوم الخليفة المعز لدين الله، وفيما يلي نماذج من أنواع النقد التاريخي التي وردت في الكتاب:

([1]) د/ محمد عبد الوهاب فضل: التاريخ وتطوره في ديار الإسلام، ط مطبعة الإيمان – القاهرة – الطبعة الثانية 1420هـ/2000م، ص51.

أ) نقد الحوادث:

تعرض القاضي النعمان في كتابه لبعض الحوادث بالنقد والتعليق، فوصفها بأوصاف مختلفة بحسب الحوادث التاريخية التي تناولها، ورؤيته لها إما بالإيجاب وإما بالسلب:

ومن الحوادث التي تناولها بالإيجاب ووصفها بالسبق قوله[1]: "ولما قرب وصول الجيش من المغرب إلى الحضرة أمر الإمام المعز لدين الله (عم) لابن واسول وابن بكر بعمل عجلتين ليكون كل واحد منهما على واحدة تجر به في حين النداء عليه. وذلك مما لم يعلم أنه سبق به ولا رأه أحد.. فتعجبنا لذلك لما عمل ورأيناه، كيف اخترع ذلك واهتدى إليه صلوات الله عليه".

ومن ذلك أيضا وصفه العمل **بالفخامة والتفرد** كقوله[2]: "وذكر المعز لدين الله (صلع) يوما بناء لبعض الأولين وما فيه من العجائب، فذكر بعض من حضر، بناء المعز وما هيأه الله (عج) من بناء النهر المعزي وإجرائه في القناة العجيبة المرصوصة بالحجر والجيرة المبنية به العجيبة البناء مسيرة يوم، ثم بناء القصر الشامخ العظيم البنيان بالحجر المنحوت المقطوع من الجيل على بعد مسافته، ولم يتهيأ لأحد من ملوك الدنيا الذين ملكوا الموضع أن يضعوا فيه حجرا على حجر، وبناء الإيوان العجيب الشامخ وجر العمد الهائلة من مسيرة يوم إليه ورفعها، بعد أن أجمع الناس على أنه لو اجتمع أهل الأرض ما استطاعوا عمل ذلك منها".

أو ربما وصف الحادثة بالمبهجة المفرحة كقوله[3]: "فما ندري كيف نصف ما كان من ابتهاجنا بذلك وموقعه من قلوبنا بما أجراه الله منه على يد وليه ويسره له، ومنحه من صنعه فيه،

([1]) المجالس والمسايرات، ص418-419.

([2]) المصدر السابق، ص552.

([3]) المجالس والمسايرات، ص481.

وعولنا على تقبيل الأرض بين يديه، وحمدنا الله وشكرناه بما قدرنا عليه واستطعناه، وسألنا إنجاز وعد وليه وبلوغنا إليه".

وفي أحيان أخرى تناول وصف الحادثة بالسلب كوصفها **بعدم جواز الحدوث** مثل قوله[1]: "وكتبت إلى الإمام المعز لدين الله (صلع) أطالعه فيما يرفع إلى من تراث عبيده والرقيق، وفي من يوم عندي بذلك من ورثتهم يطلبونه من عبيد وأحرار، وعن شهادة بعضهم لبعض إذ كان (عم) ومن قبله من الأئمة لم يجدوا في ذلك حدا علمته ورأيت أكثرهم يرث بعضهم بعضا، والقضاة يورثونهم ويجيزون شهادة بعضهم لبعض، وذلك لا ينبغي في الحقيقة.. وكذلك شهادتهم لبعضهم لا تجوز...".

وربما علق على الحادثة بالسلب عن طريق **الاستعاذة منها** كقوله[2]: "وذكر المعز لدين الله (ص) رجلا أصابه بلاء عظيم في نفسه ووصف ما صارت حاله إليه. وكان هذا الرجل قد ألحد في أولياء الله وغلا في دينه، وقد كان قلد شيئا منه، وناله بسبب ذلك من سخط الأئمة ما نعوذ بالله منه".

وفي أحيان أخرى اقتصر نقده للحادثة بوصفها **بالطول** كقوله[3]: "ولما قدم عليه (ص) رسول أهل أقريطش أمر بإدخاله إليه، فلما مثل بين يديه قبل الأرض مرارا وأدى إليه عن القوم ما أرسلوه به من تمضرعهم واستغاثتهم وسؤالهم ورغبتهم واسترحامهم، وجعل يذكر له قدر البلد وموضعه من بلد الروم ومن مصر، وأنه فرضة لهما، وأن الله (تع) – إن أقدره على دفع المشركين عنه

([1]) المصدر السابق، ص393.

([2]) المصدر نفسه، ص419.

([3]) المصدر نفسه، ص446.

وملكه – كان سبب فتح القسطنطينية والمشرق عليه إن شاء الله. وعدد ما فيه من الآلات والمعادن، وما يتهيأ به من إنشاء الأساطيل وقربه من القسطنطينية ومن مصر، في كلام طويل ذكره".

أو ربما كان نقده للحادثة **بتحليلها** وذكر تفاصيل رآها بعينه ويضع فيها رأيه كقوله[1]: "وكان هذا العبد وقد أمكنه الله من محمد بن واسول.. وابن بكر صاحب فاس.. وكانا يومئذ معتقلين في سقيفة القصر، وكان وصولهما في آخر شعبان. وظن الناس أن سيقتلا إذا وصلا، فلما ابقيا قيل: أنهما يوم الفطر يقتلان. فلما انصرف (ص) ودخل إلى داخل قصره، أحضرهما إلهي، فمثلا بين يديه – وهو قائم على فرسه والرمح بيده – فقبلا الأرض ووقفا، فقال لهما أيهما كان أحسن لكما: أن تكونا اليوم في مثل حالكما هذه بمعصيتكما وعداوتكما أو تكونا اليوم في جملة أوليائنا ومن أنتم بنا، فتقضيان فرض ربكما معنا، أو حيث كنتما على طاعتنا التي افترضها الله – تعالى – عليكما وعلى سائر خلقه، وأنتما وادعان سالمان آمنان، فلم يفهم عنه ابن واسول ما قاله، وأظن الخوف والزعر غلب عليه، فقال بل الذي نحن فيه يا مولانا أفضل. فتبسم أمير المؤمنين لما علم بأنه لم يفهم عنه – وأظن البائس إنما ظن أنه خاطبه بمثل ما خاطبه به قبل ذلك.. فأحسبه ظن أن الخطاب الذي خاطبه به أمير المؤمنين (ص) في هذا المقام كذلك كان".

ب) نقد الأشخاص:

وأما النقد التاريخي للأشخاص فقد تركز على خصوم سيده المعز لدين الله، وخصوم الفاطميين وتنوعت الألفاظ التي استخدمها في نقد الخصوم ومنها:

([1]) المجالس والمسايرات، ص458-459.

وصف الخصم **بالانتحال** كقوله[1]: "وسايرت الإمام المعز لدين الله (صلع) فذكر رجلا ينتحل الولاية، وأنه بلغه أنه ألف كتابا في الرد على أبي بكر في انتزاعه "فدكا" من فاطمة صلوات الله عليها، وأن بعض من وقع إليه ذلك الكتاب ممن يقصر فهمه من المتسمين بالولاية أعجبه وبالغ في مدحه".

أو ورصف الخصم **بكفر الإحسان** كقوله[2]: "... ومن ابن بكر صاحب مدينة فاس الغامط نعمته الكافر إحسانه...".

أو وصفه **بالتعجب والحيرة** كقوله[3]: "فسكت ابن واسول شبيها بالمتعجب المتحير ولم يوفق إلى سؤال ما يفتح له ذلك".

أو ربما وصف الخصم **بالطاغية** كقوله[4]: "وكان طاغية الروم قد رغب إلى أمير المؤمنين المعز لدين الله (ص) في الموادعة...".

([1]) المجالس والمسايرات، ص431.
([2]) المصدر السابق، ص458.
([3]) المصدر نفسه، ص522.
([4]) المصدر نفسه، ص442.

وأحيانا استخدم ألفاظا **قاسية** كقوله[1]: : وطواغيت بني أمية الذين مال نحوهم ودعا إليهم وأصغى إلى باطلهم هذا التذل ابن بكر وابتدلهم بنا، هم عدو جدنا محمد (صلع) وحربه ولعناؤه وطرداؤه وحزب الشيطان وجنوده.. فمن ذا يعدلنا بالأرجاس من بني أمية ومن هو في مثل حالهم، إلا من أعمى الله قلبه، وغلبت عليه شقوته...".

وربما تناول بالنقد أيضا بعضا من أتباع سيده كما فعل مع بعض دعاة مذهبهم في قوله: [2] "كان الدعاة يومئذ عامتهم لا يعرفون شيئا من ظاهر دين الله (عج) من حلال وحرام، وكانوا يأنفون أن يعترفوا بالجهل لشيء يسألون عنه، فما أحصى ما سمعت عن واحد من أكابرهم يسأل عن شيء من ذلك...".

وهكذا كان تناول النعمان لحوادث كتابه، وخصوم سيده بشيء من النقد والتعرض بالتحليل أو ذكر الأوصاف التي تعبر عن وجهة نظره التي توافق نظرة سيده المعز صاحب هذه المجالس والمسايرات، التي دون الكتاب للتأريخ لها ورصد أحداثها.

([1]) المصدر نفسه، ص486.

([2]) المجالس والمسايرات، ص499.

ثانياً: نقد منهج النقد التاريخي في المجالس والمسايرات:

كتاب المجالس والمسايرات دونه القاضي النعمان الشيعي في منتصف القرن الرابع الهجري تأريخا لمجالس ومسايرات الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، حيث كان النعمان من المقربين للخليفة باعتباره قاضي القضاة في بلاطه، وبدراسة هذا الكتاب وتفصيل النقد التاريخي فيه – كما تناولنا في الصفحات السابقة – تظهر لنا نقاط محددة تضع هذا الكتاب في ميزان النقد التاريخي سواء أكان ذلك بالإيجاب أو بالسلب.

أولا: الجوانب السلبية:

أ) تأثر الكتاب وكاتبه بنفوذ الخليفة المعز لدين الله الفاطمي:

كان الشيعة الإسماعيلية في المغرب في هذا التوقيت والنعمان قاضيهم ينظرون للمعز لدين الله على أنه الإمام المعصوم، وهو مصدر العلوم وأساس التأويل وكاشف الأسرار، وهو ولي نعمته ولم تنقطع ثقته ولا فتر عطفه، وهو الملجأ الذي يسكن إليه، إذا دهمه أمر أو حيرته قضية أو غمضت

عليه السبل، فلذلك أحاط النعمان شخصية المعز بالعناية التامة فألف هذا الكتاب وجعله سجلا يوميا لأقواله ومآثره وتوقيعاته[1]، فظهر ما يلي:

1- هذا الوضع جعل المعز في المجالس والمسايرات خارج دائرة النقد بل أكثر من ذلك حيث دأب النعمان على تمجيده حتى أنه لا يذكره إلا مقرونا بلفظ دعائي (صلى الله عليه وسلم، عليه السلام، رضي الله عنه.... إلخ) وهذا أخرج الكتاب من دائرة حياد المؤرخ في الكتابة إلى انحياز شديد جعل من المجالس والمسايرات كتابا خاصا بتمجيد المعز لدين الله وأعماله.

2- تأثر النعمان في كتاباته بكونه شيعي إسماعيلي يكتب التاريخ من هذا المنطلق فأحسن الحديث عن الخلفاء الفاطميين، ونقل تبرير المعز لأفعالهم وأخطائهم حتى السياسية، كما فعل مع القائم وتقصيره في مواجهة الثائر أبي يزيد مخلد بن كيداد[2]. وكذلك تبريره لفشل محاولتي المهدي والقائم غزو مصر[3].

([1]) الحبيب الفقي: مقدمة تحقيق المجالس والمسايرات، ص24.

([2]) المجالس والمسايرات، ص248.

([3]) المصدر السابق، ص476.

3- لم يتوقف تأثر النعمان عند تبرير المواقف وإنما وصل إلى مهاجمة الأعداء والتعريض بهم كما فعل مع بني أمية في الصراع الدائر بين المعز لدين الله الفاطمي وعبد الرحمن الناصر الأموي حتى زاد إلى اللعن المتبادل على المنابر[1].

4- كان القاضي النعمان يراجع ما يكتبه على الخليفة المعز ذاته فإن راقه الأمر أمضاه، وإن وجد ما لا يرضيه رده إلى النعمان يصوبه بحسب رغبة المعز[2].

ب) طبيعة المادة العلمية في الكتاب:

لم يكن المجالس والمسايرات كتاب تاريخ ولا كتاب سيرة فقط بل هو أيضا كتاب عقيدة وكتاب أدب، فيه إشارات تاريخية متنوعة، كما نجد فيه مسائل عقدية كمبحث الإمامة، وما قيل في نسب الفاطميين وما نسبه الغلاة إلى الأئمة مما لا يتفق مع عقيدة الإسلام، ومسائل في الظاهر والباطن[3].

وهذا الاختلاط في المادة العلمية جعل من المجالس والمسايرات كتابا متنوع العلوم يحتوي على مادة تاريخية قيمة جدا، إلا أنها تختلط مع علوم أخرى أكثرها عقدية تخص الشيعة الإسماعيلية.

([1]) المجالس والمسايرات، ص285.

([2]) المصدر السابق، ص301 – 302.

([3]) الحبيب الفقي وآخرون: مقدمة تحقيق المجالس والمسايرات ص19.

ج) إهمال النقد التاريخي:

أهمل النعمان نقد مصادره وبالأخص مرويات المعز لدين الله – كما ذكرنا – وأهمل أيضا نقد معظم الحوادث – مع أنه شاهد عيان عليها – وحتى الحوادث التي تناولها بالنقد كان ذلك علي استحياء بعبارات قليلة، أما الأشخاص فقد تركز نقده على خصوم المعز وخصوم الدولة الفاطمية، ولم يتعرض لباقي من أوردهم في كتابه بشيء من النقد.

ثانياً: الجوانب الإيجابية:

يعد كتاب المجالس والمسايرات وما ورد فيه من مادة تاريخية ذا أهمية كبيرة في التأريخ لهذه الفترة من التاريخ الإسلامي، وحتى مع ما ذكرناه من سلبيات في النقاط السابقة إلا أن ذلك لا يقلل من الأهمية التاريخية للكتاب للأسباب الآتية:

1- كتاب المجالس والمسايرات كتب ودون على يد شاهد عيان هو القاضي النعمان الشيعي، والمادة التاريخية الواردة به موثقة تحرى النعمان الدقة في تسطيرها كما ذكر[1]. وحتى مع ما

([1]) المجالس والمسايرات، ص301-302.

اعترضنا عليه من عرضها الخليفة المعز، إلا أن ذلك أيضا زادها توثيقا، ولنا أن نعتبر أن هذه المادة تعبر عن وجهة نظر طرف واحد من طرفي الحوادث.

2- هناك حوادث كثيرة تفرد بها القاضي النعمان وكتابه المجالس والمسايرات من بين كتب التاريخ – فيما أعلمه – فلم يذكرها غيره أو حتى قل ذكرها، أو وردت إجمالا في المصادر الأخرى، ومن ذلك المراسلات التي دارت بين المعز لدين الله وعبد الرحمن الناصر والتهديد المتبادل وصولا إلى اللعن وتعديد المسالب من الطرفين[1]. وكذلك الصراع بين المعز وابن واسول صاحب سجلماسة وابن بكر صاحب فاس وحالهما في الأسر لدى المعز لدين الله[2]، وغير ذلك من حوادث فصلها الكتاب.

3- كتاب المجالس والمسايرات من كتب السبق في التدوين التاريخي ومن أهم مصادر تاريخ المغرب التي وصلت إلينا حيث أنه دون في القرن الرابع الهجري، وهذا كفيل بأن نلتمس له العذر في تقصيره في أسس الكتابة التاريخية مثل الحياد والنقد وغير ذلك، فسبقه يشفع لتقصيره.

([1]) المصدر السابق، ص115، 164، 196، 234، 285، 347.

([2]) المجالس والمسايرات، ص411، 434، 458، 483.

4- حاجتنا الملحة الآن عند إعادة كتابة التاريخ إلى التعرف على نظرة الطرف الآخر للأحداث، فمصادر كتاباتنا في الأعم الأغلب تتبنى وجهة نظر أهل السنة والجماعة ومؤرخيهم، ولكن حياد المؤرخ يستلزم التعرف على الوجهة الأخرى من خلال مصادرها ككتاب المجالس والمسايرات الذي نحاول نفض تراب القرون الماضية عنه.

الخاتمة

وبعد... ففي القرن الرابع الهجري اتخذ المغرب الإسلامي طابعا خاصا في التدوين التاريخي، وإن كان قد اتفق مع المشرق في نواحي منهجية عدة، إلا أن وضع المغرب السياسي وخضوع معظمه لحكم العبيديين (الفاطميين) أو دويلات أخرى جعله يتجه في التدوين إلى الطابع المحلي، ومن خلال منهج القاضي النعمان في كتابه "المجالس والمسايرات" كنموذج لهذه الكتابات ظهرت عدة حقائق هي كالآتي:

1- كتابات الشيعة – والمجالس والمسايرات إحداها – طغى عليها روح التشيع فظهرت واضحة جلية النزعات المذهبية حتى في طريقة التناول للأحداث، والخضوع الشديد لشخص الخليفة الإمام الذي وصلت مكانته عندهم إلى حد العصمة.

2- انحازت كتابات التاريخ في المغرب لتدوين هي الأخرى بالولاء للشيعة العبيديين فكتبوا التاريخ من خلال نظرتهم المذهبية، ولم يكتفوا بالتاريخ المعاصر لهم بل تعدم إل بدايات الدولة الإسلامية وباقي مراحلها.

3- تدوين تاريخ المغرب ودوله في هذه الكتب تداخل معه خلط وامتزاج بعلوم أخرى أكثرها دينية ومذهبية زاد هذا أو قل تبعا للهدف من التدوين.

4- كتاب التاريخ ومدونوه في هذا العصر هم رجال الدولة أو التابعون لها، لأنهم من توفرت لهم الوثائق والأخبار والحوادث إضافة إلى المعرفة، ومن هنا كانت كتاباتهم بها جانب من التحيز.

5- تم التركيز في كتاب "المجالس والمسايرات" على نجاحات العبيديين، بينما أهملت الهزائم والنكبات، أو ذكرت مختصرة يتلوها تبرير لها.

6- أسلوب الكتابة في "المجالس والمسايرات" اعتراه تعقيد مقصود ليعطي إيحاء بأن كلام الأئمة به من الحكم ما يصعب فهمه على العامة ويحتاج لفقهاء وأهل معرفة لتوضيحه وتبسيطه من باب إضفاء هالة من التعظيم على الخلفاء أولى العصمة والمكانة.

ومع ما سبق.. فهناك أوجه من الفائدة، كما لا تخلو هذه الكتابات من إيجابيات مهمة للتدوين التاريخي منها:

1- حاجتنا في أن نرى التاريخ الإسلامي من خلال نظرة شاملة، فكيف يكتب تاريخ العبيديين (الفاطميين) من خلال نظرة أهل السنة له، أليس من العدل والحيدة أن تؤخذ نظرتهم لتاريخهم بعين الاعتبار – حتى مع اختلافنا مع أفكارهم ومذاهبهم.

2- كثير من كتابات الشيعة في المغرب – ومنها المجالس والمسايرات – دونها شهود عيان عاصروا هذه الأحداث وشاهدوها، وبعضهم شارك فيها فكانوا مصدرا بالغ الأهمية في التأريخ لها، ومن هنا يمكننا الأخذ عنهم بعد مقارنة رواياتهم بما ورد عن غيرهم.

3- هناك اختلافات كثيرة بين أهل السنة والجماعة، والشيعة وطوائفهم تستند إلى حوادث تاريخية ترتب على الاختلاف فيها، اختلاف في المواقف والرؤى، ووضعت مبادئ سياسية لدى الطرفين بناءا على ذلك، فكان لزاما الرجوع لهذه الحوادث من خلال مصادر الطرفين للتقريب – إن أمكن – أو بناء موقف يستند إلى حقائق.

4- كتاب "المجالس والمسايرات" قد جمع بين عدة حقائق مهمة، فكاتبه قاضي قضاة المعز لدين الله، وقد توفرت له إمكانيات التدوين، كما أنه شاهد عيان على كثير من حوادث عصره، ومشارك في بعضها، إضافة إلى ولائه – الذي لا شك فيه – لإمامه وللدولة

العبيدية (الفاطمية) ومن هنا وقع الاختيار عليه كنموذج معبر عن هذه الكتابات في القرن الرابع الهجري.

هذا وقد سعت الدراسة من خلال الصفحات السابقة إلى إلقاء الضوء على واقع كتابات الشيعة في تاريخ المغرب الإسلامي في القرن الرابع الهجري، من خلال منهج القاضي النعمان في كتابه المجالس والمسايرات، محاولة السعي لرؤية التاريخ الإسلامي بعيون مغايرة لم نعهدها كثيرا في كتاباتنا التاريخية، لعل هذه الخطوة تتلوها خطوات تستدرك، ما احتوت عليه هذه الدراسة من تقصير – عن غير قصد – وتتقدم بنا خطوة أخرى نحو رؤية محايدة لحقيقة تاريخنا الإسلامي.

والله من وراء قصد السبيل

الباحث

المصادر والمراجع

– القرآن الكريم.

أولا: المصادر:

أبو عبدالله بن عبدالله القضاعى (ت 658هـ)

- الحلة السيراء، تحقيق د/ حسين مؤنس، ط دار المعارف – القاهرة الطبعة الثانية 1985ك.

ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت874هـ).

- النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، تحقيق د/ إحسان عباس، ط دار الكتب العلمية – بيروت (بدون تاريخ).

القاضي أبو حنيفة النعمان: النعمان بن محمد (ت 363هـ)

- المجالس والمسايرات، تحقيق/ الحبيب الفقي، محمد اليعلاوي، إبراهيم شبوح، ط دار المنتظر – بيروت، الطبعة الأولى 1996م.

ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ)

- العبر وديوان المبتدأ والخبر المعروف بـ "تاريخ ابن خلدون" تقديم د/ عبلة كحيلة، ط الهيئة العامة لقصور الثقافة – القاهرة 2007م.

ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت681هـ).

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د/ إحسان عباس، ط دار الثقافة – بيروت (بدون تاريخ).

الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد (ت748هـ)

- تذكرة الحفاظ، ط بيروت 1956م.

ابن عذاري المراكشي: أحمد بن محمد (ت724هـ)

- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق / ج.س. كولان، ليفي بروفنسال، ط دار الثقافة العربية – بيروت، الطبعة الأولى 1983.

المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي (ت845هـ)

- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق د/ جمال الدين الشيال، ط دار الفكر العربي – القاهرة 1948م.

ياقوت الحموي: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت626هـ).

- معجم البلدان، ط دار الفكر – بيروت (بدون تاريخ).

ثانياً: المراجع:

أحمد: د/ أحمد رمضان

- تطور علم التاريخ الإسلامي حتى نهاية العصور الوسطى، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب 1989م.

حسين: د/ محمد كامل

- في أدب مصر الفاطمية، سلسلة الألف كتاب عدد (455هـ) ط دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة الثانية 1963م.

حنفي: د/ أحمد عبد اللطيف

- المغاربة والأندلسيون في مصر الإسلامية من عصر الولاة حتى نهاية العصر الفاطمي ط الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة 2006م.

الزركلي: خير الدين

- الأعلام، ط دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الثانية عشرة 1997م.

سالم: د/ السيد عبد العزيز

- التاريخ والمؤرخون العرب،و ط مؤسسة شباب بالجامعة – الإسكندرية 2001م.

أبو السعود: صلاح

- الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ط مكتبة النافذة – القاهرة الطبعة الأولى 2005م.

السلمي: محمد بن صامل

- منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه، ط دار الوفاء – المنصورة، الطبعة الأولى 1408هـ/1988م.

فضل:

د/ محمد عبد الوهاب:

- التاريخ وتطوره في ديار الإسلام، ط مطبعة الإيمان – القاهرة – الطبعة الثانية 1420هـ/2000م.

الفقي: الحبيب وآخرون

- مقدمة تحقيق المجالس والمسايرات، ط دار المنتظر بيروت، الطبعة الأولى 1996م.

كاشف: د/ سيده

- مصادر التاريخ المصري، ومناهج البحث فيه، ط مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة (بدون تاريخ).

مؤنس: د/ حسين

- التاريخ والمؤرخون، ط دار المعارف – مصر 1984م.

مصطفى: شاكر

- التاريخ العربي والمؤرخون، ط دار العلم للملايين – الطبعة الثالثة 1983م.